التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية

تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين أبي بكر محمد بن علي
ابن عربي الطائي
المتوفى سنة ٦٣٨هـ





اعتنى به
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

التدبيرات الإلهية

في

إصلاح المملكة الإنسانية

تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين أبي بكر محمد بن علي

ابن عربي الطائي

المتوفى سنة ٦٣٨هـ

طبعة جديدة منقحة ومصححة

اعتنى به

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الثانية
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-2907-4
9782745129079 90000

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[ربّ يسر ولا تعسر، يا كريم يا الله][1]

[قال العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد بن علي العربي الحاتمي الطائي][1]:

الحمد لله الذي استخرج الإنسان من وجود علمه إلى وجود عينه في أول إبداعه جوهرة، فنظرها بعين الجلال فذابت حياءً منه عندما حققت نظره، فسالت ماءً أكنّ فيه جواهر علمه ودرره، ثم أرسل منه ميزاباً إلى مشربة غصن الامتزاج فأقام به صغره، وسمى ذلك الغصن إنساناً فصوّره، وشق سمعه وبصره، وأحكم ترتيب وجود كل شيء في العالم الأكبر فيه ودبّره فقدّره، وأشهده بشاهد الإحسان كل شيء فقرره، ورتق سماء عقله بعدما فتقه وفطره[2]، وأبطن كونه في كونه وأظهره، وحجبه عن سره بما هو أخفى وستره، حكمة بالغة لمن دقق النظر فيه اعتبره، ثم تجلى له في حضرة الاقتداء فبهره، [فأجفل هارباً من نيران الهيبة فضمه وقهره][3]، وغمسه غمسة في البحر الأخضر من غير أن يشعره، فإذا سر القدرة الإلٰهية قد مازجت بشره، ثم كشف له [عن حضرة] الديمومية فحقق بها عمره، وردّاه رداء الحياة الأبدية دون كونٍ ضمه ولا أمدٍ حصره، وأعلى مناره للملائكة وأوضح غرره، فبايعته بالسجود إذ أمدّه بالأسماء ونوّره، وجعله في أرض الأجسام خليفة فأيّده ونصره، ثم أبدع له العقل وزيراً فاستوزره، ووهبه سر الخطاب في نار الشجرة، [وأعطاه عصا إعجازه فأهلك بها الخواطر السحرة][4]، ثم خوّفه لدى قسطاس[5] الانقسام وحذّره، وقسم موارده عليه قسمة منتشرة، وأردفها بأجناد إشارات إلٰهية غير منحصرة، وأورد الخواطر على باب حضرته [فمقبلة ومدبرة]، فمنها قابلة لعيون الإشارات ومنها مستنفرة، وعمّر مدينته في النمط الأوسط ومنها أفقره، وأغناه بمطالعة

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الرَّتق: الشيء المرتوق (يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع). الفتق: الفصل بين المتصلين، وهو ضد الرتق. وفطر الشيء: شقه.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) القِسْطاسُ: أضبط الموازين وأقومها. أو هو ميزان العَدْل.

أسرار الملكوت وبها أفقره، وأباح له التصرف في الأكوان بما به عنها زجره، وسوّى في قبضتيه الأخذ بين من آمن به وكفره، وأشهده على تلك القبضة وقرّره، ونصب ملكه جسراً للعبور فطوبى[1] لمن عبره، ثم شاء سبحانه أن يدنّسه بما به طهّره، فجعله برزخاً[2] جامعاً للكفرة والبررة، وأقامه في عالم التركيب داعياً على منابر التذكرة، وأيّده بالعلوم الإلٰهية وغمّره، ونهاه عن إفشاء ما بظهوره أمّره، فقال: ألا تنظرون في عوالمكم إلى سمٰوات أفلاكها مسخّرة، وأرضين بحارها مسجّرة، وفلك مشحون أجراه في بحر الكون عندما أوسقه وعمّره، فهو يمشي بين رجلي رجاء وخوف كتب عليهما الصانع القديم بقلم العلم المحيط في الرجل اليمنى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره**﴾ [الزلزلة: ٧]، وفي الرجل اليسرى: ﴿**ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره**﴾ [الزلزلة: ٨]؛ فليبادر بالطاعة لمن هداه النجدين[3] وبصّره، وليشكره على رزق قسمه فيسّره وعسّره، وليبحث عن الكنز الذي حجبه بالجدار الجسماني وستره، ثم ليتدبر كيف أحياه حين أقبره، وأماته في الوقت الذي أنشره، وأظلمه بجلابيب[4] جنادس غيوب النور الذي به أقمره، ودل به على النجي واللدني بآيتي محو ومبصرة، ثم صوّر آية المحو في بعض الأحايين منوّرة، وذلك في الليالي المقمرة عند تقابلهما في الكرة، ثم أظهر ذلك السر فيمن ضرب بعصا الاختبار حجر الأسرار ففجره، شعر:

فانظر إلى شجر فاض على حجر   وانظر إلى ضارب من خلف أستار

فسبحان من أودع هذه الأسرار في وجود حضرة الإنسان المقدسة المطهّرة، فما أغفله عن القيام بشكرها ﴿**قتل الإنسان ما أكفره**﴾ [عبس: ١٧]، والويل لمن زهد في اعتبار وجوده وحقّره، والصغار له فما أذلّه وما أصغره، فليته كما كفر شكره، فيكون من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فانتظموا في سلك عسى المدخرة في الدار العاقبة المؤخرة، والصلاة على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن تابعه وآزره، الملتحفين في أبراد المعارف الربانية المحبّرة، [المطهرة بعلم العصمة] المشهّرة ما سبّح الملك ربه وذكره، وزهد أهل العناية في الجلوة الخضرة.

---

(١) الطوبى: الحُسْنىٰ، والخير، وكل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء، وعزّ بلا زوال، وغنىٰ بلا فقر.

(٢) البرزخ: الحاجز بين الشيئين. أو ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى يوم البعث.

(٣) النجدين: الطريقين. طريق الخير، وطريق الشر لوضوحهما.

(٤) الجلابيب: (ج) الجلباب: القميص أو الثوب المشتمل على الجسد كله.

أما بعد، حقق الله سرك بحقائق الوصال، وجعلك من الساجدين له فى الغدو والآصال، فإني بنيت هذا الكتاب الصغير الحجم [اللطيف الجرم، العظيم الفائدة الكبير العلم]، المستخرج من العلم اللدني والقاب[1] العدناني، المسمى في الإمام المبين الذي لا يدخله ريب ولا تخمين بـ«التدبيرات الإلٰهية في إصلاح المملكة الإنسانية»[2] وهو مشتمل على مقدمة وتمهيد وواحد وعشرين باباً من دقائق التوحيد في تدبير الملك الذي لا يبيد، على التدبير الحكمي والنظام الإلٰهي. وجاء غريباً في شأنه ممزوجاً رمزه ببيانه، يقرأه الخاص والعام، ومن كان في الحضيض[3] الأوهد ومستوى الجلال والإكرام. قد علم كل أناس مشربهم: ففيه للخواص إشارة لائحة، وللعوام طريقة واضحة. وهو لباب التصوف وسبيل التعرف بحضرة الترؤف والتعطف. يلهج به الواصل والسالك، ويأخذ حظَّهُ منه المملوك والمالك. ايعرب عن حقيقة الإنسان وعلو منصبه على سائر الحيوان، وأنه مختصر العالم المحيط، مركب من كثيف وبسيط، لم يبق في الإمكان شيء إلا أودع فيه في أول منشئه ومبانيه، حتى برز على غاية الكمال، وظهر في برزخ بين الجلال والجمال، فليس في الجود بخل ولا في القدرة نقصان، صح ذلك عند ذوي العقول الراجحة بالدليل والبرهان. ولهذا قال بعض الأئمة «وليس أبدع من هذا العالم في الإمكان». والله يؤيدنا بالعصمة ولطيف الحكمة، إنه فياض [النعمة واسع الرحمة].

تمهيد

اعلم وفقك الله لطاعته [أن الله سبحانه قد][4] شاء أن يبرر العالم في الشفعية لينفرد سبحانه بالوترية، فيصبح اسم الواحد الفرد، ويتميز السيد من العبد. ولما وقفت، أوقفكم الله، على حقائق نفوسكم، وأطلعكم على ما أودعه فيكم من لطيف حكمته وغريب صنعته، على قوله تعالى: **﴿وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**

---

(١) العلم اللدني: العلم الرباني يصل لصاحبه عن طريق الإلهام. القاب: المقدار.

(٢) هذا الكتاب للشيخ ابن عربي المتوفىٰ سنة ٦١٧ رسالة ألفها للشيخ محمد الموردي مورزي على أن الإنسان عالم صغير مسلوخ من العالم الكبير من جهة الخلافة والتدبير وقدم مقدمة ثم أورد سبعة عشر باباً. (كشف الظنون ١/ ٣٨١).

(٣) الحضيض: ما سفل من الأرض.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

[الرعد: ٣]، فأخذت في الفكر [وإدراك حقائق الموجودات وهو الذي يختص باسم العقل][1] والاعتبار في هذه الآية، فرأيت أن الإنسان من جملة الثمرات ينمو كنمائها، [ويتغذى كغذائها ثم ينتهي كانتهائها][1]، ويؤخذ من الفوائد كالأخذ منها، ثم يأخذ في النقص كنقصانها، ثم يهرم كهرمها، ثم يموت كموتها. ثم رأيناه يولدُ كتوليدها فيؤخذ بذر منها فيزرع فيحدث فيه النبات كذلك حتى يصير [إلى مثل][1] حالها، فقد يؤخذ منه كما أخذ منها، وقد يترك فينقطع النسل من تلك الثمرة المعينة؛ وكذلك [الإنسان في التوالد والتناسل][1] على ذلك المنهج. فقلنا هذه شجرة فأين أختها التي تصح بها شفعيتها وإطلاق هذه الآية عليها فكراً واعتباراً؟. فتتبعنا وجود هذه الحكمة في الإنسان وتفضيله على سائر الحيوان، وتقصينا أسراره وحكمه ولطائفه، ورأيناها بأعيانها في العالم المحيط الأكبر قدماً بقدم، فلم نزل نقابله حرفاً بحرف ومعنًى معنى حتى وجدناه كأنه هو، فعلمنا أن الثمرة الواحدة العالم الأكبر المحيط، والثمرة الأخرى الإنسان الذي هو العالم الأصغر. فطلبنا على ذلك تنبيهاً من [الكتاب العزيز]، فوقفنا على آيات بينات نيرات، منها: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢١]، ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ [ص: ٢٧]؛ ﴿أفحسبتم أنَّما خلقناكم عبثاً﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ [الطلاق: ١٢]. فحمدنا الله سبحانه على ما ألهم وأن علمنا ما لم نكن نعلم [فقال تعالى: ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم] وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [النساء: ١١٣].

فانظر، نوَّر الله بصيرتك، إلى ما تفرق في العالم الأكبر تجده في هذا العالم الإنساني من ملك وملكوت[2]؛ حتى إذا ظهر في العالم مثل النماء وجدته في الإنسان كالشعر والأظفار ونحو ذلك.

وكما أن في العالم ماءً مالحاً وعذباً، وزعاقاً[3] ومراً، فذلك موجود كله في الإنسان: فالمالح في عينيه، والزعاق في منخريه، والمر في أذنيه، والعذب في فمه.

وكما أن في العالم تراباً وماءً وهواءً وناراً، ففي الإنسان ذلك بعينه ومنها خلق جسمه. وقد نبه عليها الحكيم سبحانه في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: [﴿هو الذي

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٢) الملكوت: العز والسلطان والعظمة. وملكوت السماوات والأرض: ما فيها من آيات وعجائب. وملكوت الله سلطانه وعظمته.
(٣) الزُّعاق من الماء: المُر لا يطاق شربه. ومن الطعام: الكثير الملح.

خلقكم من تراب﴾ [غافر: ٦٧]، ثم قال][1]. **﴿من طين﴾** [الأنعام: ٢] وهو امتزاج الماء والتراب. ثم قال جل اسمه **﴿من حمأ مسنون﴾** [الحجر: ٢٨] وهو المتغير الريح، وهو الجزء الهوائي الذي فيه. ثم قال: **﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾** [الرحمٰن: ١٤]، وهو الجزء الناري، وهذه حكمة منه سبحانه **﴿يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾** [الروم: ٥٤].

وكما أن في العالم رياحاً أربعاً شمالاً وجنوباً وصباً ودبوراً[2]، ففي الإنسان أربع قوى: جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة.

وكما أن في [العالم سباعاً وشياطين وبهائم، ففي][3] الإنسان الافتراس وطلب القهر والغلبة والغضب والحقد والحسد والفجور والأكل والشرب والنكاح والتمتع كما قال عز وجل: **﴿يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾** [محمَّد: ١٢].

وكما أن في العالم ملائكة بررة سفرة، ففي الإنسان طهارة وطاعة واستقامة.

وكما أن في العالم من يظهر للأبصار ومن يخفى، ففي الإنسان ظاهر وباطن: عالم الحس وعالم القلب، فظاهره ملك وباطنه ملكوت.

وكما أن في العالم سماءً وأرضاً ففي الإنسان علو وسفل.

وامشِ بهذا الاعتبار على العالم تجد النسخة الإلٰهية صحيحة ما اختل حرف ولا نقص معنى، ولم تجد له في مقابلة الأزل إلا الأبد وهو غير متناهي الطرف الآخر شرعاً. وسبق في علم قديم باقٍ ببقاء الله عز وجلِ.

قال العبد وجرت المتصوفة عادة [رضي الله عنهم][4] في [illegible]ظر والاعتبار مجرى العرب في كلامها من [الاستعارات والمجاز] بأدنى شبه وأيسر صفة تجمع بينهما؛ وفي القرآن من هذا القبيل كثير إذ القرآن جار على لغة العرب، كما قال عمَّ: «وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين»[5]. ومثله قوله تعالى: **﴿واشتعل الرأس شيباً﴾** [مريم: ٤] **﴿كسراب بقيعة﴾** [النور: ٣٩]، **﴿كرماد اشتدت به الريح﴾** [إبراهيم: ١٨]، **﴿كمثل صفوان عليه**

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الصَّبا: ريح مهبها من مشرق الشمس ويقابلها الدبور. الدَّبُور: ريح تهب من جهة المغرب وتقابلها الصَّبا.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) أخرجه ابن كثير في (التفسير ٦/ ١٧٢).

تراب﴾ [البقرة: ٢٦٤]، **﴿جداراً يريد أن ينقض﴾** [الكهف: ٧٧]، **﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾** [يوسف: ٨٢]، فلما **﴿تجلى ربه للجبل جعله دكًّا﴾** [الأعراف: ١٤٣].

فلم تزل الصوفية [رضي الله عنها][١] في نظرها واعتبارها على هذا المنهج، فلنلخص لك ولنقرب عليك كيف تنظر العالم في الإنسان على ما تقدم؛ وذلك أن تنظر إلى ما خرج عنك من الموجودات: فإذا وقعت عينك على موجود ما فاطلب الصفة التي غلبت على ذلك الموجود حتى [شهر بها][١]. وإذا عرفت تلك الصفة التي أنبأت عنه ودلّت عليه فإما صفة نفسية له وإما صفة غالبة عليه.

ثم تنظر تلك الصفة بعينها فتجدها في الإنسان لا محالة، فتطلق على الإنسان عند مشاهدة تلك الصفة [اسم الذي هو] صفته؛ مثل البلادة[٢] التي هي غالبة على الحمار دون غيره من الحيوان؛ فنقول في الإنسان حماراً إذا رأيناه بليداً؛ أو أسداً إذا رأيناه شديداً طالب الافتراس.

[ومثل هذا النظر أيضاً في الأسرار الشريفة مثل أن تنظر][٣] إلى الشمس والقمر فتجعل الشمس الروح والقمر النفس؛ وذلك أن النفس ذات كمال ونقص حسب ما يرد في داخل هذا الكتاب، فكمالها بالعقل والعلم، ونقصها بالجهل والشهوات.

وكما أن نقص القمر قد يكون سببه [في الكسوف][٣] الأرض، وهو الأسفل من العالم، كذلك نقص النفس [إنما هو][٣] من ارتكاب الشهوات ومحلها أسفل سافلين. وكما أشرقت الأرض بنور الشمس كذلك أشرقت الأجسام بنور الروح، فكشفت الأشياء على ما هي عليه، إلى أمثال هذا مما يطول ذكره.

قال المؤلف [رضي الله عنه][٣]: ولما أردنا أن نأخذ في مقابلة النسختين العالم الأكبر والأصغر على الإطلاق في جميع الأسرار العامة والخاصة، رأينا أن ذلك يطول، وغرضنا من العلوم ما يوصل إلى النجاة في الآخرة إذ الدنيا فانية داثرة؛ فعدلنا إلى أمر يكون فيه النجاة، ويتمشى معه المراد الذي بنينا عليه كتابنا وهو أنّا نظرنا الإنسان فوجدناه مكلفاً مسخراً بين وعد ووعيد، فسعينا في نجاته مما توعد به وتخليصه لما وعد الله إليه؛ فاضطرنا الحال في إقامة القسطاس عليه من العالم الأكبر، [فقلنا أين ظهرت الحكمة من

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) البلادة: حِرمان الذكاء والفطنة والمضاء في الأمور.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

الخطاب والوعد والوعيد من العالم الكبير]، فرأينا ذلك في حضرة الأمر والنهي وحضرة الإمامة ومقر الخلافة. فوجدنا الخليفة شاهداً فيه ظهرت الحكمة وآثار الأسماء، وعلى يديه تنفعل أكثر المكوّنات المخلوقة للباري تعالى. فتقصينا الأثر وأمعنّا النظر في حظ الإنسان من هذه الحضرة الإمامية، فوجدنا في الإنسان خليفة ووزيراً وقاضياً وكاتباً وقابض خراج وجبايات[1] وأعواناً ومقابلة أعداء، وقتلاً وأسراً، إلى أمثال هذا مما يليق بحضرة الخلافة التي هي محل الإرث، وفي الأنبياء [عليهم الصلاة والسلام][2]، وانتشرت راياتها ولاحت أعلامها وأذعن الكل لسلطانها؛ ثم خفيت بعد الأنبياء [صلوات الله على محمد وعليهم][2] فلا تظهر أبداً إلى يوم القيامة عموماً. لكن قد تظهر خصوصاً: فالقطب معلوم غير معين وهو خليفة الزمان، ومحل النظر والتجلي، ومنه تصدر الآثار على ظاهر العالم وباطنه؛ وبه يرحم الله من يرحم ويعذب [من يعذب][2] وله صفات إن اجتمعت في خليفة عصر فهو القطب، وعليه مدار الأمر الإلهي. وإن لم تجتمع فهو غيره؛ ومنه تكون المادة لملك ذلك الزمان، وهذا كله في الإنسان موجود. ونحن إن شاء الله نورده في هذا المجموع أحسن إيراد، مختصراً كافياً مقنعاً، والله ينفع العبد بما قصد، ويسلك به الطريق الأقوم الأسدّ والله أعلم.

---

(١) الخراج: ما يخرج من غلة الأرض أو الضريبة المفروضة على البلاد التي فتحت صلحاً (الجزية) جبىٰ المال ونحوه: جمعه.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

المقدّمة

التصوف[1]، صافاك الله، أمره عجيب وشأنه غريب وسره لطيف، وليس يمنح إلا لصاحب عناية وقدم صدق، له أمور وأسرار غطى عليهن إقرار وإنكار. وسقنا هذه المقدمة توطئة لعلوم التصوف على الإطلاق. فإن الإنكار عليه شديد و[شيطان المخالفة] له مريد. على أنّا ما سقنا من هذه العلوم في هذا الكتاب إلا النزر[2] اليسير في آخره وإشارات تتخلله. ف[illegible] في هذه المقدمة لتلك الإشارات الشريفة، ومن أراد أن يقف من تواليفنا على جل أسرار هذه الطريقة الشريفة، فليطالع كتاب «مناهج الارتقاء إلى افتضاض أبكار البقاء المخدرات بخيمات اللقاء»؛ وبنيناه على ثلاثمائة باب وثلاثة آلاف مقام في كل باب عشر مقامات، كلها أسرار بعضها فوق بعض. فرجونا وفقك الله في سياق هذه المقدمة في هذا الكتاب التي هي كالعلاوة عليه، أن يقف عليها السالك ابتداءً، فيكون له عصمة من الإنكار على كلام أهل الطريقة وما يقف عليه في داخل هذا الكتاب فيقع منه التسليم؛ فربما يفتح له قفل السر الذي وقف عنده وسلمه. [فلهذا ما أوردناها]، جعلنا الله ممن حسن إسلامه وسلم ما لم يبلغه علمه آمين بعزته.

فاعلم شرح الله سبحانه صدرك أن مبنى [هذا الطريق على] التسليم والتصديق، حتى قال بعض السادة القادة: «لا يبلغ الإنسان درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق أنه زنديق»[3].

---

(١) التصوف: هو علم تُعرف به أحوال تزكية النفس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية، فموضوعه: (التزكية والتصفية والتعمير). (الرسالة القشيرية ص ٣٨٩).

(٢) النّزر: عطاء نزر: قليل تافه.

(٣) الزِّنديق: من يبطن الكفر ويخفيه ويظهر الإيمان.

ثم يؤيد قول هذا السيد بقول الشريف الرضي[1] حفيد علي بن أبي طالب[2] [كرم الله وجهه العزيز ورضي عنه] شعر:

إنـــي لأكتـــم مـــن علمـــي جـــواهـــره	كـــي لا يـــرى الحـــق ذو جهـــل فيفتتنـــا
فقـــد تقـــدم فـــي هـــذا أبـــو حســـنٍ	إلـى الحسيـن[3] ووصّـى قبلـه الحسنـا[4]

---

(١) الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر، مولده ووفاته في بغداد، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده. له كتب منها «الحَسَن من شعر الحسين» و«المجازات النبوية و«مجاز القرآن» باسم «تلخيص البيان عن مجاز القرآن» وغير ذلك. كان ولادته سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، ووفاته سنة ست وأربعمائة، ودفن في داره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ وفيات الأعيان ٤/ ٤١٤ ـ ٤٢٠، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٤٦ وفيه كان يلقب بذي الحسبين، ويتيمة الدهر ٢/ ٢٩٧ ـ ٣١٥، ونزهة الجليس ١/ ٣٥٩.

(٢) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي (٢٣ ق هـ ـ ٤٠ هـ = ٦٠٠ ـ ٦٦١ م) أبو الحسن. أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة. ولد بمكة وربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، وآخى النبي ﷺ بين أصحابه وولي الخلافة بعد مقتل عثمان. قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان المشهورة وروىٰ عن النبي ﷺ ٥٨٦ حديثاً، وكان نقش خاتمه «الله الملك»، وجمعت خطبه وأقواله ورسائله في كتاب سمي «نهج البلاغة». الأعلام ٤/ ٢٩٥، والطبري ٦/ ٨٣، والبدء والتاريخ ٥/ ٧٣، وصفة الصفوة ١/ ١١٨، وحلية الأولياء ١/ ٦١.

(٣) هو الحسين بن علي بن أبي طالب (٤ ـ ٦١ هـ = ٦٢٥ ـ ٦٨٠ م) الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبد اللَّه. السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء. ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الأمويين. قتله سنان بن أنس النخعي (وقيل: الشمر بن ذي الجوشن) بكربلاء يوم الجمعة عاشر المحرم. الأعلام ٢/ ٢٤٣، وتهذيب ابن عساكر ، ٤/ ٣١١، وخطط مبارك ٥/ ٩٣، وصفة الصفوة ١/ ٣٢١، وذيل المذيل ١٩، والطبري ٦/ ٢١٥.

(٤) هو الحسن بن علي بن أبي طالب (٣ ـ ٥٠ هـ = ٦٢٤ ـ ٦٧٠ م) الهاشمي القرشي، أبو محمد خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلاً حليماً محباً للخير فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهة حج عشرين حجة ماشياً. بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ وأشاروا عليه بالسير إلى الشام لمحاربة معاوية فأطاعهم وزحف بمن معه وبلغ معاوية خبره فقصده بجيشه وتقارب الجيشان في موضع يقال له: مسكن فهال الحسن =

يـا رب جـوهـر علـم لـو أبـوح بـه لقيـل لـي أنـت ممـن يعبـد الـوثنـا[1]
ولاستحـل رجـال مسلمـون دمـي يـرون أقبـح مـا يـأتـونـه حسنـا

فاشترط في إنكار هذا المعلق النفيس رجالاً سماهم مسلمين قد وقفوا مع [التخيل والتلبيس] وكيف [لا ينكر][2] هذا الطريق وهل يبقى أثر للباطل عند ظهور الحق، ﴿**فماذا بعد الحق إلا الضلال**﴾ [يونس: ٣٢]، ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل**﴾ [الإسراء: ٨١]. [وقال الشاعر[2]][3]:

ألـم تـرَ أنَّ الله أعطـاك صـورة[4] تـرى كـلَّ مَلْـكٍ دونَهـا يَتـذبـذبُ؟
فـإنـك شمـس والملـوك كـواكـب إذا طلعـت لـم يبـدُ منهـن كـوكـب

﴿**قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**﴾ [الأنعام: ٩١]، «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[5]، «إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله [في اليوم][6] مائة مرة»[7]. فانظر هذين

= أن يقتتل المسلمون ولم يستشعر الثقة بمن معه، فكتب إلى معاوية يشترط شروطاً للصلح ورضي معاوية فخلع الحسن نفسه وانصرف إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي مسموماً. الأعلام ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٥، والإصابة ١/ ٣٢٨، وحلية ٢/ ٣٥.

(١) الوثن: التمثال يُعبد، مما يتخذ من الخشب أو الحجارة أو النحاس أو غيرها. وقد يقال لما يُعبد من غير التماثيل (ج) أوثان، ووُثْن ووُثُن.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) البيتان من الطويل، وهما للنابغة الذبياني، والأول منهما في ديوانه ص ٧٣، ولسان العرب ٤/ ٣٨٦ (سور)، وتهذيب اللغة ١٣/ ٤٩، وجمهرة اللغة ص ١٧٤ ـ ٧٢٣، وديوان المعاني ١/ ١٥، وتاج العروس ١٢/ ١٠١ (سور).

(٤) في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ١/ ١٨٩، وفي اللسان ٤/ ٣٨٦: سورة ومعناه: أعطاك رفعة وشرفاً ومنزلة، وجمعها سُوَرٌ أي رِفَعٌ.

(٥) أخرجه علي القاري في (الأسرار المرفوعة ١٨٦)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٢٥٠) (أحاديث القصاص ٥٨)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٤٢٨)، والألباني في (السلسلة الضعيفة ١٠٠).

(٦) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (الذكر ٤١)، وأبو داود في (السنن ١٥١٥)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ٢١١، ٢٦٠)، التبريزي في (مشكاة المصابيح ٢٣٢٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥٧، ٨/ ٢٩٩، ٥١٧، ٩/ ٥٩، ٦٢٨)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٢/ ٤٣)، (بغوي ٦/ ١٨٠)، والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٦٣)، وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ١٠١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٠٧).

الشيئين في عالم الحس الداخل تحت ذل الحصر، فكيف بعالم الملكوت.

فكل من تكلم في غير هذا المقام فإنه صاحب أضغاث أحلام[1]. ألم تر إلى قول الجنيد[2] [رضي الله عنه] «إن المحدث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر». وشتان[3] بين من ينطق عن درسه ونفسه وبين من ينطق عن ربه: ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ [النجم: ٣]. فإياك وطلب الدليل من خارج فتفتقر إلى المعارج، واطلبه [في ذاتك] تجد الحق في ذاتك.

أرأيت لما ثبتت نبوة رسول الله ﷺ [واستقر في نفوس العقلاء أنه ﷺ ينطق عن الله تعالى لا عن هوى نفسه كيف دخلوا في رق الانقياد والتسليم، وتصرفت عليهم وظائف التكليف، ولم يسألوا ما الدليل ولا ما العلة؟ ولقد كان الصحابة [رضي الله عنهم][4] يسألون عن أشياء حتى نهوا عن ذلك في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾ [المائدة: ١٠١]، فقال الصحابة: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ.

فإن تعرض لك أيها الأخ المسترشد من ينفّرك عن الطريق فيقول لك طالبهم بالدليل والبرهان، يعني أهل هذه الطريقة، فيما يتكلمون به من الأسرار الإلٰهية، فأعرض عنه، وقل له مجاوباً في مقابلة ذلك: ما الدليل على حلاوة العسل؟ ما الدليل على لذة الجماع وأشباههما؟ وخبّرني عن ماهية [هذه الأشياء][4]، فلا بد أن يقول لك هذا [علم لا يحصل إلا بالذوق، فلا يدخل تحت حد ولا يقوم عليه دليل، فقل له: وهذا][4] مثل ذلك.

ثم اضرب له مثالاً [آخر وقل له][4]: لو كان لك دار بنيتها بيدك وما اطلع عليها أحد غيرك، ففشا ذكرها واتصل بأسماع الناس خبرها، ثم اصطفيت أحداً من خواصك، فأدخلته إياها حتى عاينها وأحاط بما أطلعته منها عليه، وهو بمرأى الناس عند إدخالك

---

(١) أضغاث الأحلام: ما كان ملتبساً مختلطاً لا يصح تأويله لاختلاطه والتباسه.

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزار القواريري، الزاهد المشهور. أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه العراق، وكان شيخ وقته وفريد عصره. له «رسائل» و«دواء الأرواح» رسالة وغير ذلك توفي سنة سبع وتسعين ومائتين وقيل: ثمان وتسعين. ودفن بالشونيزية. وفيات الأعيان ١/٣٧٣ ـ ٣٧٥، وحلية ١٠/٢٥٥، وصفة الصفوة ٢/٢٣٥، وتاريخ بغداد ٧/٢٤١، والرسالة القشيرية ص ٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٣) شتّان: اسم فعل ماضٍ بمعنىٰ بَعُدَ بُعْدًا شديداً، يقال: شتان ما هُما، وشتان ما بينهما، وشتان بينهما؛ أي: بَعُد وعَظُم الفرق بينهما.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

إياه، ثم خرج إليهم وقعد يصف لهم ما رأى فيها. هل يصح أن يقال له ما الدليل في ذلك المقام على ما تذكر أنه على هذه الصفة؟ هذا لا يصح.

ولو طالبه أحد بذلك حمّقه الناس وسخّفوه، وقالوا هذا شيء لا يقوم عليه دليل. غايتنا أنّا رأينا رجلاً أدخله صاحب الدار وخرج فوصف ما رأى؛ فمن [حسن ظنه] به وثبتت عنه [العدالة صدّقه في قوله، ومن لم يحسن ظنه فلا يلزمه ذلك، ولا يحسن من أحد أن ينكر عليه][1] مقالته. فإذا أردت أن تقف على ما [ادعاه هذا الداخل] فارغب إلى صاحبها يدخلك إياها فتشاهد ما شاهد وليس غير ذلك.

فكذلك يا أخي هذا العلم السني الذي هو نتيجة التقوى. إذا رأينا رجلاً قد اتقى الله سبحانه ووقف عند حدوده، واتصف بالزهد والورع وأشباه ذلك، ثم نطق بعد هذا بعلم لا تسعه عقولنا وهبه الله سبحانه إياه، فالواجب علينا التسليم والتصديق فيما ادعاه، وتحسين الظن به وترك الاعتراض عليه، فإن الله تعالى يخص من يشاء من عباده بما شاء من علومه، كما قال: ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء [من عباده]**[1]﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقال: ﴿**وعلمناه من لدنّا علماً**﴾ [الكهف: ٦٥]. ومسألة موسى والخضر عليهما السلام مقنع أعني في الاختصاص: ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ [الأنبياء: ٢٣].

هل صدر قط أو سمع عن الصحابة [رضي الله عنهم][1] أنهم سألوا النبي ﷺ ما العلة على أن الظهر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، ولِمَ أسرّ في بعض وجهر في بعض؟ ما سمعنا بهذا وإنما لم يكن ذلك لأنه قد ثبتت عصمته وبان صدقه، وعلم أنه لا ينطق عن نفسه. فمهما رأيناك تطلب الدليل [والعلم ممن ورثه] ولازم التقوى التي تدل على صحة علمه كدلالة المعجزة على صدق الرسول، علمنا أن صفة الصدق ما استقرت لديك ولا تبدت قط إليك. فسلم إليهم أحوالهم، ولا تنكر عليهم أقوالهم، ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾ [طه: ١١٤]. عسى الله أن يفتح لك باباً من عنده تصل من ذلك ولا تنكر عليهم؛ وفقك الله النطق بالغيب مع إيمان بالمثال الظاهر المحسوس؛ الذي نصب الله لك؛ ذلك أن المرآة إذا صقلت [وجلي عنها] الصدأ وتجلت صورة الناظر فيها أليس يرى [المرء فيها][2] نفسه حسناً أم قبيحاً؟ فإن جاء أحد خلفه تجلت صورته في المرآة؛ فعندما نظر إليها قال للحاضرين معه خلفي إنسان أو شيء على صورة كذا وكذا، حتى يستوفي ما

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

رأى، وهو لم يره بعينه الرؤية المعهودة، والتصديق بهذا واجب فإنه محسوس.

كذلك المعقول نظير المحسوس، فيعمد الإنسان إلى مرآة قلبه فيجلوها من صدأ الأغيار، ويميط[1] عنها كل حجاب يحجبها عن تجلي صور المعقولات والمغيبات بأنواع الرياضات والمجاهدات، فإذا صفت وانجلت تجلى فيها كل ما قابلها من المغيبات، فنطق [عما شاهد] ووصف ما رأى، ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]؛ وهذا مقال على التقريب، ولولا خوف التطويل لتكلمنا على ضروب المكاشفة وأصنافها لكن يكفي هذا القدر.

فمن أراد أن يقف على أنواعها على الكمال [من تآليفنا][2] فليقف على «جلاء القلوب». ثم يا ليت شعري طالب الدليل على هذا العلم المشاهد هل أحاط علماً بمعاني الكتاب والسنة حتى يقال له هو مثل كذا؟ هل أحاله دليل العقل؟ فغاية العاقل الذي حصل له عقل التكليف ووقف عند أحكامه من واجب وجائز ومستحيل أن يجعل ما نطق به هذا الصوفي من قبيل الجائز، وإنما صار واجباً عندهم لا من حيث نفسه إلا من حيث العلم القديم بأنه سيكون.

فإذا أتى هذا الصوفي بالجائز أو بموافقات العقول، إذ النبوة والولاية فوق طور العقل، فالعقل [إما أن يجوز أو يقف] لأنه ما أتى بشيء يهد به ركناً من أركان التوحيد، ولا ركناً من أركان الشريعة. فما جرم المستمع له في معرض الإنكار إلا قلة التصديق؛ فالصفة راجعة إليه، والصوفي منزه عما نسب إليه؛ فدارك يا أخي، دارك قبل حلول الهلاك، ويموت الإنسان على ما كان عليه، ويحشر على ما مات عليه؛ وحذار حذار من فوات هذه الأسرار والاستضاءة بهذه الأنوار. فافترش أيها الطالب الحبيب بساط التسليم، واخرج بالحرية عن رق الإنكار، واقعد على كرسي الفكر، وأفرغ عليك حلة المجاهدة، واجعل على رأسك تاج الموافقة والمساعدة، وانظر النطق من غير محل الخطاب تجد الحق، وانظر المستمع تجده مستمعاً مسمعاً مخاطَباً مخاطِباً فإذا كان هو المتكلم والمكلم، المستمع والمسمع، فأنت عدم؛ وإن كنت موجوداً، كما أنت حاضر وإن كنت مفقوداً.

ولذلك أشار ﷺ مخبراً عن ربه: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه،

---

(١) أماطه: نحّاه وأبعده.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

فإذا أحببته كنت سمعه [الذي يسمع به] وبصره»[١]. فمن يكن الحق سمعه وبصره فكيف يخفى عليه شيء؟ ومن كان الحق لسانه كيف ينتهي كلامه؟

فتحقق هذه المقدمة وقف عندها ترشد وتحمد عاقبة أمرك [إن شاء الله][٢]، فوفر دعاويك وفقك الله لما نورده عليك في هذا الكتاب، والله ينفعنا وإياك بالعلم، ويجعلنا من أهله آمين بعزته.

[قال المؤلف رحمه الله][٢]: لما فرغنا من هذه المقدمة والتمهيد، رأينا أن نقدم فصلاً في [فهرست الكتاب]، [رغبة في التيسير لمن أراد أن يقف على سر معين منه، فينظر بابه في الفهرست، فيسهل عليه مطلبه]:

فصل في فهرست الأبواب

[الباب الأول][٢]: في وجود الخليفة [الذي هو ملك البدن][٢] وأغراض المتصوفة فيه وتعبيرهم عنه وهو الروح.

الباب الثاني: في اختلاف العلماء في ماهيته وحقيقته.

الباب الثالث: في إقامة مدينة الجسم وتفاصيلها [التي هي] ملك هذا الخليفة.

الباب الرابع: في ذكر السبب الذي لأجله وقعت الحرب بين العقل والهوى.

الباب الخامس: في الاسم الذي يخص الإمام وحده، [وفي صفاته وأحواله، وأن الإمام لا يخلو أن يكون واحداً من أربعة][٢].

الباب السادس: في العدل وهو قاضي هذه المدينة.

الباب السابع: في معرفة الوزير وصفاته، وكيف يجب أن يكون.

الباب الثامن: في الفراسة[٣] الشرعية والحكمية.

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٥٦٩)، وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ٤٦٢).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الفراسة: مأخوذة من التفرس وهو التثبت والنظر، ويطلق أيضاً على التوسم من السمة وهي العلامة، والفراسة قد تكون عادية تُعرف بقرائن الأحوال، وقد تكون وهبية إلهامية يخلقها الله في القلب وهي المراد غالباً عند القوم. قال القشيري: الفراسة خاطر يهجم على القلب فينفي ما يضاده، وله على القلب حكم، اشتقاقاً من فريسة السبع، وليس في مقابلة الفراسة مجوّزات للنفس، وهي حسب قوة الإيمان، فكل من كان أقوى إيماناً كان أحدّ فراسة. (الرسالة القشيرية ص ٢٣١).

الباب التاسع: في الكاتب وصفاته وكتبه.

الباب العاشر: في المسددين والعاملين أصحاب الجبايات والخراج.

الباب الحادي عشر: في رفع الجبايات إلى الحضرة ووقوف الإمام عليها ورفعها إلى الملك الحق سبحانه وتعالى.

الباب الثاني عشر: في السفراء والرسل الموجهين إلى الثائرين بمدينة البدن.

الباب الثالث عشر: في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم.

الباب الرابع عشر: في سياسة الحروب والمكايد وترتيب الجيوش عند اللقاء.

الباب الخامس عشر: في ذكر السر الذي يغلب به أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه.

الباب السادس عشر: في ترتيب الغذاء الجسماني والروحاني على فصول السنة لإقامة هذا الملك الإنساني وبقائه.

الباب السابع عشر: في خواص الأسرار المودعة في الإنسان وكيف ينبغي أن يكون السالك في أحواله؛ وفي هذا الباب أودعت مضاهاة نفس الإنسان حضرة الباري تعالى وهو على خمسة أبواب:

الأول: في إفاضة [نور اليقين] على ساحة القلب.

الثاني: في الحجب المانعة من إدراك عين القلب الملكوت.

الثالث: في اللوح المحفوظ الذي هو الإمام المبين ولوح المحو والإثبات.

الرابع: في أسباب الزفرات والوجبات والتحرك عند السماع.

الخامس: في الوصية للمريد السالك، وهو على فصول، وبه ختم الكتاب. فجميع أبواب هذا الكتاب واحد وعشرون باباً وخاتمة، نذكرها إن شاء الله في داخل الكتاب على ما هي في الفهرست، وهذا حين أبتدىء، وبالله أستعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

[عونك اللهم يا معين]

الباب الأول

في وجود الخليفة الذي هو ملك البدن وأغراض الصوفية [رضي الله عنهم][1] فيه، وتعبيرهم عنه، وهو الروح الكلي

قد نبّه الله سبحانه عليه في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ [البقرة: ٣٠]، واعتباره في العالم الأصغر استخلاف الروح في أرض البدن. قد قدمنا في صدر هذا الكتاب تمهيداً فيما أشرنا إليه وعزمنا على إخراجه في هذا المجموع، ومهدناه مخافة الطعن [وانتقاد الجهال] الذين ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم غافلون**﴾ [الروم: ٧]؛ وأعربنا عن حقيقة ما أردنا حتى لا يجد الناقد إليه مساغاً، فنقول على بركة الله، ﴿**والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**﴾ [الأحزاب: ٤].

كان سبب تأليفنا لهذا الكتاب أنه لما زرت الشيخ الصالح أبا محمد الموروري بمدينة مورور[2]، وجدت عنده [كتاباً يسمى] سر الأسرار، صنفه الحكيم لذي القرنين لما ضعف عن المشي معه. فقال لي أبو محمد: هذا المؤلف قد نظر في تدبير هذه المملكة الدنيوية؛ وكنت أريد منك أن تقابله بسياسة من المملكة الإنسانية التي فيها سعادتنا. فأجبته وأودعت في هذا الكتاب من معاني تدبير الملك أكثر من الذي أودعه الحكيم؛ وبينت أشياء أغفلها الحكيم في تدبيره الملك الكبير، وعلقته في دون الأربعة الأيام بمدينة مورور؛ ويكون جرم كتاب الحكيم في الربع أو الثلث من جرم هذا الكتاب؛ فهذا الكتاب ينتفع به خادم الملوك في خدمته وصاحب طريق الآخرة في نفسه؛ وكل يحشر على نيته وقصده، والله المستعان.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) مورور: اسم لكورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال قرمونة وهي عن قرطبة بين الغرب والقبلة كثيرة الزيتون والفواكه، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً. (معجم البلدان ٥/ ٢٢٢).

اعلم نوّر الله بصيرتك، أن أول موجود اخترعه الله تعالى جوهر بسيط روحاني فرد، غير متحيز في مذهب قوم، ومتحيز في مذهب آخرين؛ على حسب ما يرد الكلام على ماهيته في الباب الثاني من هذا الكتاب إرادة واختياراً. ولو شاء سبحانه لاخترع موجودات متعددة دفعة واحدة، خلافاً لما يدعيه بعض الناس من أنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد. ولو كان هذا لكانت الإرادة قاصرة والقدرة ناقصة، إذ وجود أشياء متعددة دفعة واحدة ممكن لنفسه غير ممتنع؛ والممكن محل تعلق القدرة. فإن ثبت [أن أول موجود واحد] فاختيار منه تعالى.

[قال المؤلف رحمه الله ورضي الله عنه][1]: وعبّر أهل الحقائق عن هذا الخليفة بعبارات مختلفة لكل عبارة منها معنى: فمنهم من عبّر عنه بالإمام المبين، ومنهم من عبّر عنه بالعرش، ومنهم من عبّر عنه بمرآة الحق، إلى أشباه ذلك. فلنذكر الآن تعبيرهم عنه ولأي معنى خصوه بتلك العبارات على حسب ما ظهر من الاعتبار في صفاته التي وهبه الله تعالى إياها وخصه بها.

فصل

[قال المؤلف رحمه الله]: ذكر القوم [رضي الله عنهم][1] [ومنهم الإمام أبو حامد الغزالي][2] أن هذا الخليفة، الذي هو الروح، من عالم الأمر وليس من عالم الخلق اصطلاحاً؛ واحتجوا بقوله تعالى: **﴿قل الروح من أمر ربي﴾** [الإسراء: ٨٥]، وجعلوا من هذا للتبيين. وأرادوا بعالم الأمر كل ما صدر [عن الله][3] بلا واسطة إلا بمشافهة الأمر العزيز، وهو السبب الثاني بالإضافة إلى الوجود المطلق، والسبب الأول بالإضافة إلى الوجود المقيد. فهو أول في المبدعات، وعالم الخلق كل موجود صدر عن سبب متقدم من غير

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) أبو حامد، حجة الإسلام فيلسوف متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل أو إلى غَزَالة (قرية). من كتبه «إحياء علوم الدين» و«تهافت الفلاسفة» و«الاقتصاد في الاعتقاد» و«مقاصد الفلاسفة» و«جواهر القرآن» وغير ذلك. الأعلام ٧/٢٢ ـ ٢٣، ووفيات الأعيان ٤/٢١٦ ـ ٢١٩، وطبقات الشافعية ٤/١٠١، وشذرات الذهب ٤/١٠، ومفتاح السعادة ٢/١٩١ ـ ٢١٠، وآداب اللغة ٣/٩٧.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

مشافهة الأمر [الذي هو] الكلمة. قال الله تعالى: ﴿**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ إشارة إلى أنه سيد العالم وخالقه ومربيه.

فإذا تقرر هذا، فلا مشافهة في الألفاظ إذا عرف حقيقة المعنى، ﴿**والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**﴾ [الأحزاب: ٤].

العبارات المصطلح عليها: قال المؤلف رضي الله عنه [فأما ما أطلق عليه بعض المحققين من أهل المعاني][1] المادة الأولى، [فكان الأولى][1] أن يطلقوا عليه الممد الأول في المحدثات؛ لكنهم سمّوه بالصفة التي أوجده الله تعالى لها. وهذا ليس ببعيد أن يسمى الشيء بما قام به من الصفات.

[قال المؤلف رضي الله عنه][1]: [وإنما عبر عنه بالمادة الأولى لأنه الله تعالى خلق الأشياء][1] على ضربين: منها ما خلق من غير واسطة وسبب وجعله سبباً لخلق شيء آخر، والاعتقاد الصحيح أنه تعالى يفعل الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب، خلافاً لمخالفي أهل الحق، والذي يصح أن أول موجود مخلوق من غير سبب متقدم ثم صار سبباً لغيره ومادة له ومتوقفاً ذلك الغير عليه على العقد الذي تقدم، كتوقف الشبع على الأكل، والري على الشرب عادة؛ وكتوقف العالم على العلم، والحي على الحياة عقلاً وأمثال هذا؛ وكتوقف الثواب على فعل الطاعة والعقاب على المعصية شرعاً. [فلما لحظوا هذا المعنى سموه المادة الأولى وهو حسن، ولا حرج عليهم في ذلك شرعاً][1] ولا عقلاً.

وعبر عنه بعضهم بالعرش؛ [قال المؤلف رحمه الله تعالى][1]: والذي حملهم على ذلك أنه لما كان العرش محيطاً بالعالم في قول، أو هو جملة العالم في قول آخر، وهو متبع اتحاد الأمر والنهي، ووجدوا هذا الموجود المذكور آنفاً يشبه العرش من هذا الوجه أعني الاتحاد والإحاطة. فكما أن العرش محيط بالعالم وهو الفلك التاسع [في مذهب قوم][2]، كذلك هذا الخليفة محيط بعالم الإنسان. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥] في معرض التمدح؛ فلو كان في المخلوقات أعظم منه لم يكن تمدحاً.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

سر للخواص:

لكن هنا سر نرمزه ليلتذ به صاحبه إذا وقف عليه، وهو قوله تعالى: ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥]، فالعرش المذكور في هذه الآية مستوى الرحمٰن، وهو محل الصفة؛ والخليفة الذي سميناه عرشاً حملاً على هذا مستوى الله جل جلاله؛ فبين العرشين ما بين الله والرحمٰن وإنه كان ﴿**أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى**﴾ [الإسراء: ١١٠]، فلا خفاء عند أهل الأسرار فيما ذكرناه. وحد الاستواء من هذا العرش المرموز قوله ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم على صورته»[١]؛ فالعرش الحامل للذات والمحمول عليه للصفة فتحقق أيها العارف وتنبه أيها الواقف، وأمعن أيها الوارث، ﴿**والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**﴾ [الأحزاب: ٤].

وعبر عنه بعضهم بالمعلم الأول، [قال المؤلف رحمه الله][٢]: والذي حملهم على ذلك أنه لما تحقق عندهم خلافته وأنه حامل الأمانة الإلٰهية، ونسبته من العالم الأصغر نسبة آدم من العالم الأكبر، وقد قيل في آدم [عليه السلام][٣] ﴿**وعلَّم آدم الأسماء كلها**﴾ [البقرة: ٣١]؛ كذلك هذا الموجود، ثم خاطب الملائكة فقال: ﴿**أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ [البقرة: ٣١] ﴿**[قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا**﴾][٣] [البقرة: ٣٢] ﴿**[إنك أنت العليم الحكيم]**[٣]﴾ [البقرة: ٣٢]. فأمر الخليفة أن يعلّمهم ما لم يعلموا فأمرهم الله سبحانه بالسجود لمعلمهم [سجود أمر][٣] كسجود الناس إلى الكعبة، [كسجود أمر] وتشريف لا سجود عبادة. أعوذ بالله لا أشرك به أحداً.

فيكون في هذا العالم الإنساني ثمرة السجود لا نفس " ـرد؛ وإنما هو التواضع والخضوع والإقرار بالسبق والفخر والشرف والتقدم له كتواضع التلميذ لمعلمه.

وإذا حصل موجود في مقام تتعلم منه الملائكة فأحرى مَنْ دونهم. وذلك تشريف

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (البر والصلة ١١٥)، (الجنة ٢٨)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٢٤٤، ٢٥١، ٣٢٣، ٤٣٤، ٤٦٣، ٥١٩)، والحميدي في (المسند ١١٢٠، ١١٢١)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٩٥)، وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ٣)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٦٦)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ١٠٧٧)، وابن أبي عاصم في (السنة ١/ ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٢٩٠، ٢٩١).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

من الله سبحانه، ودليل قاطع على ثبوت إرادته ﴿**يختص برحمته [من يشاء من عباده]**﴾ [آل عمران: ٧٤].

سر للخواص:

وهو حين أوقع الأسماء هل عاين المسميات أم لا؟ وإلا كيف يصح إطلاق اسم من غير مسمى، وهذا موضع نظر وفكر.

وسر السجود هنا لا يمكن إيضاحه، وقد ذكرناه في «مطالع الأنوار الإلٰهية»؛ فأما هل [عاين المسميات فقد نبّه على ذلك تعالى بقوله «بأسماء هؤلاء»: فالهاء للإشارة والتنبيه، ولا تقع الإشارة إلا على حاضر وإن كانت الإشارة في هذا الطريق نداء على رأس العبد وبوحاً لعين العلة، فنقول إنه][1] عاين المسميات لكن على صورة ما، وذلك أنه عاينها في نفسه من حيث أنه مجمع أسرار العالم ونسخته الصغرى، وبرنامجه الجامع لفوائده؛ وهذه فائدة الإشارة بقوله تعالى ﴿**هؤلاء**﴾ في حقنا [وهو المطلوب والغرض في هذا الكتاب».

وعبر عنه بعضهم بمرآة الحق والحقيقة، [قال المؤلف رضي الله عنه]: والذي حملهم على ذلك أنهم لما رأوه موضع تجلي الحقائق والعلوم الإلٰهية والحكم الربانية، وأن الباطل لا سبيل له إليها، إذ الباطل هو العدم المحض، ولا يصح في العدم تجلٍ ولا ظهور كشف، فالحق كل ظهر [في الوجود وفي إيراد الشبهات المعارضة للأدلة يتضح ما] أردنا.

سر للخواص:

السبب الموجب لكونه مرآة الحق قوله ﷺ: «المؤمن مرآة أخيه»[2]. والأخوة هنا عبارة عن المثلية اللغوية في قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [الشورى: ١١]؛ وذلك عند بروز هذا الموجود في أصفى ما يمكن وأجلى ممكن ظهر فيه الحق بذاته وصفاته المعنوية لا النفسية، وتجلى له من حضرة الوجود؛ وفي هذا الظهور الكريم قال تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ [التين: ٤]؛ فتأمل هذه الإشارة فإنها لباب المعرفة وينبوع الحكمة.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) للحديث رواية أخرى هي: «المؤمن مرآة المؤمن» أخرجه أبو داود (أدب ٤٩).

وعبر عنه الشيخ العارف أبو الحكيم بن برّجان[1] [رضي الله عنه][2] بالإمام المبين، وهو اللوح المحفوظ [المعبر عنه بكل شيء في قوله تعالى: **﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء]**[2] **موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾** [الأعراف: ١٤٥] وهو اللوح المحفوظ. هذا دليل أبي الحكيم على تسميته «كل شيء».

والذي حمله على ذلك قوله تعالى: **﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾** [يس: ١٢]، ووجدنا العالم كله أسفله وأعلاه محصى في الإنسان فسميناه الإمام المبين، وأخذناه تنبيهاً من الإمام المبين الذي هو عند الله تعالى، فهذا حظنا منه [فتدبره وتحققه].

سر للخواص:

قال الله تعالى: **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾** [الأنعام: ٣٨] اعتباره الذي هو الإنسان منه شيء تفصيل في العالم بأسره؛ الإمام على الحقيقة المبين من كان كل شيء مأموماً به، وهذا لا يصح في موجود ما لم تصح له المثلية اللغوية الفرقانية. فإذا صحت المثلية صح وجود الإمام، [وإذا صح وجود الإمام][3] بطلت الإمامة في [حق غيره]: **﴿ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾** [الأنبياء: ٢٣]. فإذا نظرنا في هذا الإمام المبين نظرنا بما استوجب الإمامة، [فوجدناه استوجبها بأسرار وصفات هو عليها فقلنا هي من نفسه أو من غيره][3]، فوجدناها أمانة بيده فقرأنا **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾** [النساء: ٥٨]، فلاحت لنا مرآة الحق المستقدمة، فضربنا الإمام المبين في المؤمن مرآة أخيه، فخرج لنا واحد في الخارج، فسماه بعضهم مرآة، وبعضهم إماماً: فالإمام كتابي والمرآة سنية.

وعبر عنه بعضهم بالمفيض، وبه كان يقول شيخنا وعمدد أبو مدين[4] شيخ الشيوخ

---

(١) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي (انظر ترجمته في فوات الوفيات ١/ ٢٧٤، وفي الاستقصا ١/ ١٢٩، وفي لسان الميزان ٤/ ١٣، وفي مفتاح السعادة ١/ ٤٤ وفيه وفاته ٧٢٧ خطأ).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) هو شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني (... - ٥٩٤ هـ = ... - ١١٩٨ م)، أبو مدين، صوفي، من مشاهيرهم، أصله من الأندلس، أقام بفاس، وسكن «بجاية» وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور، وتوفي بتلمسان، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. له «مفاتيح الغيب، لإزالة الريب، وستر العيب». الأعلام ٣/ ١٦٦، وجذوة الاقتباس ٣٣٢، وشجرة النور ١٦٤، وشذرات الذهب ٤/ ٣٠٣.

رضه، أخبرني بذلك عنه غير واحد ممن أثق به، [قال المؤلف رضي الله عنه]: والذي حملهم على ذلك أنهم لما رأوا الأجسام بيوتاً مظلمة وأقطاراً سوداً مدلهمة[1]، فإذا غشيها نور الروح أضاءت وأشرقت كالأقطار إذ غشيها نور الشمس؛ وبالضرورة نعلم أن النور الذي في بغداد غير النور الذي في مكة، والنور الذي في موضع ما غير النور الذي في غيره. ثم نظرنا في السبب لوجود تلك الأنوار التي خلقها الله تعالى عنده لا به فوجدناه جسماً كروياً نورانياً يقال له الشمس: فكل موضع يقابلها من الأرض يخلق الله فيه نوراً يسمى شمساً. فكما تطلق على كل نور خلق في الأرض في مقابلة الشمس شمساً، ليس يبعد ولا يمنع أن تطلق على كل نور أضاءت به أرض الأبدان روحاً.

وكما يختلف قبول الأماكن لهذا النور لاختلافها، فلا يكون قبول الأجسام الصقيلة للنور كقبول الأجسام الدرنة، كذلك يختلف قبول أماكن الأبدان لفيضان الروح لاختلافها. فلا يكون قبول البهيمة لفيضانه كقبول الإنسان، ولا قبول الإنسان كقبول الملك. فلو سمينا الشمس بالمفيضة، حقيقة الإفاضة في الماء وهو مجاز في غيره.

ونسبة هذه الأرواح عندهم إلى الروح الكلي كنسبة ولاة الأمصار إلى الإمام، ولذلك يثابون إن عدلوا ويعاقبون إن جاروا.

سر للخواص:

قال الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها**﴾ [الزمر: ٦٩]. اعتبار الربوبية هنا سيادة المعلم الأول وتربيته وتأثير سببيته؛ وهو المرجوع إليه في قوله تعالى [على طريق][2] التنبيه ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك**﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٢٨]؛ ونور هذا الرب المنبه عليه هو الروح الحيواني الذي به تشترك البهيمة والإنسان. فاعتبار الموت فيه بحجاب الغمام واعتبار النوم بغروب الشمس، واعتبار الغفلة بالحجاب الهلالي.

ثم قد يغيب الإمام ويبقى الوزير بدله يفيض على المملكة كالقمر ليلاً، وليس كفيضان الإمام؛ وفيض مادة الوزير وفيضانه إن أفاض بالنظر إلى النفس النباتية، وهي الحجاب لمادة النفس المطمئنة؛ وقد يغيبان، أعني الإمام والوزير فيبقى الفقهاء نجوم علم الأحكام، فلا يستطيعون إفاضة لقهر النفس الحيوانية البهيمية والنفس السبعية واستيلاء سلطانها؛ فتأمل هذا السر تدرك الحكمة الإلٰهية.

---

(١) مدلهمة: مظلمة.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

وعبر عنه بعضهم بمركز الدائرة، [قال المؤلف رحمه الله][1]: والذي حملهم على ذلك أنهم لما نظروا [رضي الله عنهم][1] إلى عدل هذا الخليفة في ملكه واستقامة طريقته في هيئاته وأحكامه وقضاياه، سموه مركز دائرة الكون لوجود العدل به، وإنما حملوه على مركز الكرة نظراً منهم إلى أن كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط مساوياً لصاحبه رأوا ذلك غاية العدل فسموه مركز الدائرة لهذا المعنى.

سر للخواص:

وذلك أن نقطة الدائرة أصل في وجود المحيط، ومهما قدّرت كرة وجوداً أو تقديراً فلا بد أن تقدر لها نقطة هي مركزها؛ فلا يلزم من وجود النقطة ووجود المحيط ووجود الفاعل من هذه الدائرة ورأس الضابط ولا دائرة في الوجود كان الله ولا شيء معه، وفخذاه يداه المبسوطتان جوداً أو إيجاداً؛ والفخذ المختصة بالنقطة يد المغيب والملكوت الأعلى والفخذ المختصة بالمحيط يد عالم الملك والشهادة: فالواحدة للأمر والأخرى للخلق والله **﴿بكل شيء محيط﴾** [فصلت: ٥٤]، **﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾** [مريم: ٩]؛ فيد المركز معرّاة عن الحركة القاطعة للأحياز ويد المحيط متحركة؛ فتأمل نوّر الله بصيرتك لهذه الإشارات، فقد مهّد لك السبيل.

قال المؤلف: ولو تقصيت آثاره وتتبعت خصائصه وأطلقت عليه [من ذلك][2] ألقاباً لما وسعها ديوان؛ فاقتصرنا في هذا الإيجاز على هذا القدر لندل بذلك على شرفه واجتبائه من بين سائر المحدثات.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

الباب الثاني
في الكلام على ماهيته[1] وحقيقته

اختلف العلماء [رضي الله عنهم][2] في هذا الروح الذي عبّرنا عنه بالخليفة، فمنهم من قال إنه جوهر فرد متحيز، وزعموا أنه خلاف الحياة القائمة بالجسم الحيواني، وإنه حامل الصفات المعنوية. وزعم قوم أن الإدراكات مختصة بمحالها ولكن الله تعالى قد ربط وجودها في الجسم وبقاءها ببقاء الروح. فإذا فارق الروح الجسد ذهبت الإدراكات لذهابه.

وزعم قوم أنه جسم لطيف متشبث بأجزاء البدن، [متخللها كتخلل] الماء الصوفة، وإنه ليس له محل من الجسم يخصه.

وقال عبد الملك بن حبيب[3] إنه صورة لطيفة على صورة الجسم لها عينان وأذنان ويدان ورجلان في داخل الجسم، يقابل كل عضو وجزء منه نظيره من البدن.

وهؤلاء كلهم أحالوا أن يكون عرضاً، فقيل لهم: وما المانع من ذلك؟ فقالوا: لم يكن يبعد عندنا ذلك لنفسه، لكن السمع منع من ذلك في قوله إن الأرواح تتنعم وتتعذب وإنها باقية؛ وهاتان الصفتان ليستا من صفة العرض. فإن النعيم يؤدي إلى قيام المعنى بالمعنى وهذا محال عقلاً عند أكثر العقلاء، والشرع ليس يأتي بالمحال.

---

(١) الماهية: ماهية الشيء: حقيقته، نسبة إلى: (ماهو) أو (ماهي). (مو).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن عباس بن مرداس السلمي، يكنى أبا مروان، وكان بالبيرة، وسكن قرطبة، ويقال: إنه من موالي سُليم. روى عن صعصعة بن سلام وزياد بن عبد الرحمن، ورحل وسمع من أبي الماجشون ومطرف بن عبد اللّه وغيرهما، وانصرف إلى الأندلس، وقد جمع علماً عظيماً. وكان يشاور مع يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان، وله مؤلفات في الفقه والجوامع، وكتاب فضائل الصحابة، وغريب الحديث، وتفسير الموطأ، وحروب الإسلام وغير ذلك. توفي سنة ٢٣٨ بعلّة الحصى عن أربع وستين سنة. معجم البلدان ١/ ٢٤٤، ٢٤٥،(إلبيرة)، والديباج المذهب ١٥٤، وتذكرة ٢/ ١٠٧، ولسان الميزان ٤/ ٥٩.

والحديث الثاني في بقائها يناقض دليل العقل لو كان عرضاً [استحال بقاؤه][١] لاستحالة بقاء الأعراض، فإنها تتجدد في كل زمان؛ ولكان للحيوان على هذا القول أرواح متعددة بعدد أزمانه المارة عليه؛ وهذا كله باطل.

والذي زعم أنه ليس بجوهر، دليله على ذلك تماثل الجواهر. فلو جاز أن يكون جوهر واحد روحاً لكان كل جوهر روحاً. وقد قام الدليل على بطلان هذا في مسألة العقل؛ فإن الذي زعم أن الروح جوهر أحال أن يكون العقل جوهراً للتماثل؛ وإذا بطل أن يكون جوهراً بطل أن يكون جسماً لأن الجسم [جواهر مؤتلفة][١]، جوهران فصاعداً.

وزعم قوم أنه جوهر محدث قائم بنفسه غير متحيز، وهو من أحد أقوال الإمام أبي حامد الغزالي فيه [المنسوبة إليه][١]، وأنه لا داخل الجسم ولا خارج عنه، ولا متصل به ولا منفصل عنه؛ وذلك لعدم التحيز الذي [يكون به التصرف في الجهات][١]، وهو الشرط المصحح للاتصال والانفصال.

واعترض عليهم بأنه لا يخلو عن الشيء أو ضده [إن كان له ضد][١]، فقالوا: يعرّى عنهما إذا كان وجود كل واحد منهما ليس مشروطاً بشرط. فمتى انعدم المشروط والشرط [انعدم المشروط والشرط المصحح للاتصال والانفصال المتحيز وقد انعدم في حق هذا الموجود][٢]، كما تقول في الجماد لا عالم ولا جاهل [ولا ضد من أضدادها][١]. فإن الشرط المصحح لقيام العلم أو أضداده بالجسم إنما هي الحياة ولا حياة في الجماد؛ فقيل لهذا وما المانع أن يكون عرضاً؟ فاستدل بدليل من قال إنه جواهر وأبطل أن يكون عرضاً فقيل له جوهر؛ فاستدل بدليل من قال إنه عرض، فأبطل أن يكون جوهراً مع اعتقاد حصر المحدثات في جوهر متحيز وعرض. ثم قال لهم: قد بطل أن يكون جوهراً متحيزاً وبطل أن يكون عرضاً [ومتحيزاً أو قائماً بمتحيز][١] وهو موجود؛ وليس هو الله سبحانه. فقد بطل حصركم ولاح موجود خامس، وهو ما ذكرناه على الوصف الذي ادعيناه؛ قلنا ولم نرجح أحد هذه الأقوال مع العلم أن الحق في أحدها لقول القائل:

إن الخليفـــــة قـــــد أبـــــى   وإذا أبـــــى شيئـــــاً أبيتـــــه[٣]

لكن قد ذكرنا ذلك في غير هذا الكتاب؛ قلنا فلما أوجد هذا الخليفة على حسب ما

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٣) أبى: امتنع وأنف.

أوجده قال له أنت المرآة وبك ننظر إلى الموجودات، وفيك ظهرت الأسماء والصفات؛ أنت الدليل عليّ، وجهتك خليفة في عالمك تظهر فيهم بما أعطيتك تمدهم بأنواري وتغذيهم بأسراري، وأنت المطالب بجميع ما يطرأ في الملك.

استدراك

قلنا: هذا خلاف لا يضر ولا يهد ركناً من أركان الشريعة إذ قال كل واحد على مذهبه فيه إنه محدث؛ وإذا كان هذا فهو المراد، والله يوفق الجميع، [ويقول الحق وهو يهدي السبيل].

الباب الثالث
في إقامة مدينة الجسم وتفاصيلها
من جهة كونها ملكاً لهذا الخليفة

اعلم أن الله سبحانه لما أوجد هذا الخليفة الذي ذكرناه آنفاً[1] بنى له مدينة يسكنها رعيته وأرباب دولته، تسمى حضرة الجسم والبدن. وعيّن للخليفة منها موضعاً إما أن يستقر فيه على مذهب من قال إنه متحيز، أو يحل فيه على قول من قال إنه قائم بمتحيز.

وإما أن يكون ذلك الموضع المعين له موضع أمره وخطابه ونفوذ أحكامه وقضاياه، على قول من أثبته غير متحيز ولا قائماً بمتحيز. فأقام له سبحانه مدينة الجسم على أربعة أعمدة وهي الإسطقسات والعناصر، وسمى سبحانه الموضع المعين للخليفة منه القلب، وجعله مسكن الخليفة أو موضع أمره على ما ذكرناه من الخلاف.

وقال قوم إن مسكنه الدماغ؛ والأظهر عندي من طريق التنبيه والاستقراء لا من جهة البرهان، أنه القلب شرعاً لقوله ﷺ مخبراً عن ربّه: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[2]. وقال: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم»[3]. وذلك أن المستخلف إنما نظره أبداً إلى خليفته ما يفعله فيما قلّده؛ والله سبحانه قد استخلف الأرواح على الأجسام.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قوله تعالى: ﴿**ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾

---

(١) الآنف: الماضي القريب. يقال: فعله آنفاً؛ أي: من وقت قريب مضى، وهو منصوب على الظرفية.

(٢) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٢٣٤)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٦٠، ٣١٠، ٣٧٦)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٣٠)، (أحاديث القصاص ١)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٢٨٣)، والسيوطي الحلبي في (الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (برّ ٣٢، ٣٣)، وابن ماجه (زهد ٩)، وأحمد بن حنبل ٢، ٢٨٥، ٥٣٩.

[الحج: ٤٦]؛ وليست الإشارة للقلب النباتي فإن الأنعام يشاركوننا في ذلك السر. لكن للسر المودع فيه وهو الخليفة، والقلب النباتي قصره.

وقال ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب»[١]. فالقلب النباتي لا فائدة له إلا من حيث هو مكان لهذا السر المطلوب، المتوجه إليه الخطاب، والمجيب إذا ورد السؤال، والباقي إذا فني الجسم. والقلب [النباتي فنقول كذلك][٢] إذا صلح الإمام صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت؛ بذا جرت العادة وارتبطت الحكمة الإلٰهية.

[قال المؤلف رضي الله عنه][٢]: سر فساده وصلاحه المرتبط بصلاح الرعية وفسادها: سبب ذلك أن الله تعالى إذا ولّى خليفة قوماً فإنه يعطيه أسرارهم وعقولهم فيكون إذ ذاك مجموع رعيته؛ فمتى خانهم في أسرارهم وعقولهم ظهر ذلك عليهم؛ وإن اتقى الله في ذلك [ظهر ذلك] عليهم.

وقد تكون أسرار رعيته حين تعطاه رذلة ناقصة، ولهذه الإشارة [قوله ﷺ] «مثل ما تكونون يولّى عليكم». فإن غلب عليها صلاح الإمام صلحت، وظهر آثار ذلك في الرعية وأرباب الدولة بمشيئة غيبية إلٰهية يجدها الإنسان في نفسه بعد أن لم تكن، ولا يدري من أين وردت عليه، ولا كيف حصلت له؛ فهذا سر قوله ﷺ: «إذا حصلت صلح سائر الجسد».

قال المؤلف [رضي الله عنه]: ثم بنى [الله سبحانه] له متنزهاً مشرفاً عجيباً عالياً، في أرفع مكان في هذه المدينة، سماه الدماغ. وفتح له فيه طاقات وخوخات[٣] يشرف منها على ملكه، وهي الأذنان والعينان والأنف والفم، ثم بنى له في مقدم ذلك المنتزه خزانة سماها خزانة الخيال، جعلها مستقر جباياته وموضع رفع ولاة الحس؛ وفيها تخزن جبايات المبصرات والمسموعات والمشمومات والمطعومات والملموسات وما يتعلق بها؛ ومن تلك الخزانة تكون المرائي والأحلام التي يراها النائم؛ وكما أن في الجبايات حلالاً وحراماً كذلك في المرائي مبشرات وأضغاث أحلام.

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ١/ ٢٠)، ومسلم في صحيحه (المساقاة ١٠٣)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٥/ ٢٦٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٥٣، ١٠/ ١٧١)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٣٥٦).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الخوخات: أبواب صغيرة تكون جزءاً من أبواب كبيرة.

وبنى في وسط هذا المنتزه خزانة الفكر الذي ترتفع إليه المتخيلات فيقبل منها الصحيح ويرد الفاسد.

وبنى له في آخر هذا المنتزه خزانة الحفظ؛ وجعل هذا الدماغ مسكن الوزير الذي هو العقل؛ وله باب في داخل الكتاب يخصّه، فأضربنا هنا عن ذكره.

ثم أوجد له النفس وهي محل التغيير والتطهير، ومقر الأمر والنهي؛ وهي الليلة المباركة التي فيها يفرق كل أمر حكيم؛ وحظها من العالم العلوي الكرسي، كما أن الروح محله العرش من ذلك العالم؛ والنفس هي كريمة هذا الخليفة وحرته.

وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو حامد الغزالي في قوله إن الروح نكح النفس فتولد ما بينهما الجسم، فقال مشيراً إلى ذلك في خطبة «لباب الحكمة» له: «ربنا ورب آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات».

لكن المتصوفة اصطلحوا على كل فعل فيه حظ لكون من الأكوان أنه نفسي، يعني أنه عن أمر النفس سواء كان ذلك الفعل محموداً أو مذموماً، وكل ما ليس فيه حظ إلا لله تعالى فهو روح؛ وأن الإنسان له ثلاث أنفس: نفس نباتية وبها يشترك مع الجمادات؛ ونفس حيوانية وبها يشترك مع البهائم، ونفس ناطقة وبها ينفصل عن هذين الموجودين ويصح عليه اسم الإنسانية؟ وبها يتميز في الملكوت، وهي الكريمة التي ذكرناها تحت هذا الخليفة.

[قال المؤلف رضي الله عنه][(١)]: ثم أوجد الله من تمام النعمة على الإنسان، وإكمال النسخة على الاستيفاء في هذه المملكة، أميراً قويًا مطاعاً، كثير الرجل والخيول، قوي العَدد والعُدد، منازعاً لهذا الخليفة، سماه الهوى؛ ووزيراً سماه شهوة، فبرز يوماً في أجناده وخيوله يتنزه في بعض بساتينه، فأشرفت النفس التي هي حرة الخليفة عليه، فتراءت ونظر كل واحد منهما لصاحبه فعشقها الهوى، فأعمل الحيلة في الاجتماع بها؛ فما زال يستنزلها ويستعطفها ويبسط لها حضرته، ويهاديها بأحسن ما عنده؛ ولم تزل رسل الأماني وسفراء الغرور تمشي بينهما، حتى قالت إليه وانقادت له؛ وملكها الإحسان والخليفة غافل عن هذا، والعقل الذي هو وزيره قد شعر بذلك، وهو يسوس الأمر ويخفيه عسى لا يشعر بذلك الخليفة وترجع عما هي عليه.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

فصارت النفس بين [أميرين قويين مطاعين]، هذا يناديها وهذا يناديها، والكل بإذن الله تعالى الأصلي ﴿**قل كل من عند الله**﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿**وكلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك**﴾ [الإسراء: ٢٠]، ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾ [الشمس: ٨]؛ في إثر قوله ﴿**ونفس وما سوّاها**﴾ [الشمس: ٧]. ولهذا جعلناها محل التطهير والتغيير: فإن أجابت الهوى كان التغيير وحصل لها اسم الأمارة بالسوء؛ وإن أجابت العقل كان التطهير وصح لها اسم المطمئنة شرعاً لا توحيداً.

ووقوع هذا الأمر لحكمة لطيفة وسر عجيب، وهو أن الله سبحانه لما أوجد هذا الخليفة على ما وصفناه من الكمال، أراد أن يعرّفه سبحانه مع ذلك أنه فقير ولا حول ولا قوّة إلا لسيده الرب تعالى؛ فلهذا أوجد له منازعاً ينازعه فيما قلّده. فلما رأى الروح أنه ينادي والنفس لا تجيبه وقد قيل له هو ملكك، قال لوزيره: ما السبب المانع لها من إجابتي؟ فقال له العقل: أيها السيد الكريم، إن في مقابلتك [موجود أقام لها][1] [في مقامك][1] أميراً قويًّا مطاعاً صعب المرتقى عزيز المنال، يقال له الهوى، عطيته معجلة مشهورة؛ فأرسل وزيره إليها، فبسط لها حضرته وعجّل لها أمنيتها في أوحى زمان؛ فأجابت لدعائه وانقادت له، وحصلت تحت قهره، وأتبعها أجنادك وبادية رعيتك وما بقي لك من مملكتك إلا أرباب دولتك، المتحققون بحقائقك والمختصون بك، وها هو قد نزل بفناء بصرك ليخربه ويخرجك عن ملكك ويستولي على عرشك؛ [فدارك يا أخي، دارك] قبل نزول الهلاك.

[قال المؤلف رضي الله عنه][1]: فرجع الروح بالشكوى إلى الله القديم سبحانه، فثبتت له في نفسه عبوديته بالافتقار والعجز والذلة وتحقق التميز، وعرف قدره فذلك كان المراد. فإن الإنسان لو نشأ على الخير والنعم طول عمره لم يعرف قدر ما هو فيه [حتى يبتلي فإذا مسه الضر عرف قدر ما هو فيه][1] من النعم والخيرات، فعرف عند ذلك قدر المنعم.

[قال المؤلف رضي الله عنه][1]: فلما رجع الروح بالشكوى إلى ربه صار واسطة بينها وبينه، فقال لها: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠]. فلما أتاها النداء برفع الوسائط حنّت وأنّت واشتاقت، فأجابت وأنابت بالعناية الإلٰهية.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

سؤال: فإن قيل لِمَ سمّاها مطمئنة وقال لها راضية مرضية وهي الآن أمارة بالسوء؟ قلنا: إنما سماها مطمئنة لتحقق إيمانها أن منادي الهوى لم يكن منادياً بنفسه؛ وإنما كان منادياً بموجده حيث علمت معنى قوله تعالى: ﴿**قل كل من عند الله**﴾ [النساء: ٧٨] و﴿**كلا نمد هؤلاء وهؤلاء**﴾ [الإسراء: ٢٠] [من عطاء ربك][(١)]؛ فاطمأنت للنداء لتحققها في الابتداء، وقد تقدم السبب والعلة.

وقوله راضية مرضية، يريد راضية بالنداءين مرضية عندنا لتحقق إيمانها وتوحيدها. فادخلي في عبادي، يعني عباد الاختصاص أهل الحضرة الإلٰهية. وادخلي جنتي، يريد المكاره التي هي نعم الخليفة إذ الشهوات جنة الكافر، وهي نار على الحقيقة ظاهرها نعيم وباطنها جحيم، وقد نبه على ذلك رسوله الله ﷺ حيث قال: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»[(٢)].

ويظهر ذلك الله تعالى عند خروج الدجال[(٣)] فذكر النبي ﷺ أن له واديين من نار وماء؛ فمن قصد الماء وجد النار، ومن قصد النار وجد الماء. فإن قيل وكذلك أيضاً كانت تجيب داعي العقل وتسمعه من الحق كما ذكرت، فلم أجابت داعي الهوى ومرقت؟ قلنا الجواب عن هذا من وجهين:

ـ أحدهما: أنا فرضنا الكلام في أوله على أن الحق تعالى أراد أن يعرّف الروح قدره للسبب الذي ذكرناه، فأسمعها نداء الهوى وأصمَّها عن داعي العقل ليقع ما أراده سبحانه.

ـ والوجه الآخر: أن النفس بعض الروح كما كانت حواء بعض آدم [عليهما

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (الجنة المقدمة ١)، والترمذي في (السنن ٢٥٥٩)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٢٦٠، ٣٠٨، ٣/ ١٥٣، ٢٥٤، ٢٨٤)، والدارمي في (السنن ٢/ ٣٣٩)، والبغوي في (شرح السنة ١٤/ ٣٠٦)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ٦٢٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٦٨٠٥)، وابن المبارك في (الزهد ٣٢٥)، وابن كثير في (البداية والنهاية ١٢/ ١٣)، والآجري في (الشريعة ٣٩٠)، والقرطبي في (التفسير ٤/ ٢٨)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٥٧)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٨/ ١٨٤)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٥/ ١٧٩٦، ٧/ ٢٦٦١)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٤١٦)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٧٤).

(٣) الدجّال: هو الذي يظهر في آخر الزمان يدّعي الإلهية. سمي بذلك لأنه يَدْجل الحق بالباطل. (اللسان ١١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ مادة: دجل).

السلام][1] فصار منادي الروح أصلاً من نفسها ومنادي الهوى أجنبيًا عنها [فالأصل حاصل والأجنبي غير حاصل، فاشتاقت أن تعرف ما لم تعرف][2]، فأجابته لترى ما تم كما أجابت حواء إبليس في أكل الشجرة. ومن هنا وقعت بين الهوى والعقل الوقائع والحروب والفتنة على هذا الملك الإنساني.

وقد يستولي أحدهما عليه وقد يؤخذ منه، فيعزله ويأسره وربما يقتله في حق شخص ما، هكذا استمرت الحكمة الإلٰهية حتى العرض الأكبر. وربما يملك أحدهما البادية والآخر الحاضرة؛ وقد يملك أحدهما الملك كله ظاهراً وباطناً.

فأما العصاة فإن سلطان الهوى مالك باديتهم وسلطان العقل مالك حاضرتهم وأما المنافقون فإن العقل مالك باديتهم والهوى مالك حاضرتهم؛ وأما المؤمنون المعصومون والمحفوظون فالعقل مالكهم بادية وحاضرة. [وأما الكافرون فالهوى مالكهم بادية وحاضرة][2].

فإذا كان في الدار الآخرة [وذبح الموت] وتميز الفريقان ونفذ حكم الله، ألحق العصاة بالمؤمنين المعصومين؛ فحصل لهم النعيم الدائم؛ وألحق المنافقين بالكافرين فحصل لهم العذاب اللازم؛ فلم يغنِ المنافق عمله من الله شيئاً، فإن التوحيد أصل والعمل فرع؛ فإن اتفق في الفرع شيء يفسده ويهلكه جبره الأصل كالعصاة، وإذا خرب الأصل لم ينفعه الفرع كالمنافق.

فهذا الملك الإنساني تصرفه في الدنيا على أربع أطباق لا بد من أحدها في حق كل شخص: إما مؤمن معصوم، أو محفوظ، وإما كافر أو مشرك أصلاً، وإما منافق وإما عاصٍ.

وإذ قد تقرر هذا وثبت، فلنذكر الآن السبب الذي لأجله نشأت الفتن والحروب بين العقل والهوى إذ هذا موضعه؛ ﴿**والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**﴾ [الأحزاب: ٤].

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

الباب الرابع
في ذكر السبب الذي لأجله
وقع الحرب بين العقل والهوى

اعلم وفقك الله أن السبب الذي لأجله نشأت الفتنة ووقعت الحرب حتى كشفت عن ساقها، وعمت الوقائع جميع أقطار المملكة وآفاقها، هو طلب الرئاسة على هذا الملك الإنساني ليخلّصه من حصل بيده إلى النجاة، إذ لا يصح عقلاً ولا شرعاً تدبير ملك بين أميرين متناقضين في أحكامهما، ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وإن فرض اتحاد الإرادة في حق المخلوقين فإن حكم العادة يألى ذلك والشرع في حق هذين الأميرين؛ وما سمعنا بخرقها في حق شخص قط. وإذا كان هذا فلم يرد الله تعالى أن يدبّر هذا الملك إلا واحد؛ وصرح بذلك على لسان رسوله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[(١)]؛ والخلافة ظاهرة وباطنة، وقد تقررت الظاهرة وثبتت؛ وكلامنا هنا في الخلافة الباطنة على حسب الظاهرة أنبوباً على أنبوب، وجرياً على ذلك الأسلوب.

اعتراض لكشف أسرار: [قال المؤلف رضي الله عنه][(٢)]: وربما للمنازع أن يستروح من هذا الحديث شيئاً ما فيقول: قد قال اقتلوا الآخر منهما؛ وما يدريك لعل الهوى تقدم والعقل تأخر، فيكون الهوى صاحب الخلافة. فنقول ليس التقدم والتأخر هنا بالزمان،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (الإمارة حق ٨/ ١٤٤)، التبريزي في (مشكاة المصابيح ٣٦٧٦)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٥/ ١٩٨)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ٤/ ٤٣)، وفي (لسان الميزان ٤/ ١٣٢٩)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١/ ٢٣٩)، وصاحب (ميزا الاعتدال ٣١٤٢، ٦٧٠٨، ٧٦٤٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٤٨٠٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٣٢)، (أزهر ٣٠)، والعقيلي في (الضعفاء ١/ ٢٥٩، ٣/ ٤٥٧)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٢١٩).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

وإنما التقدم هنا بإحصاء الشرائط، أعني شرائط الإمامة. ففيمن وجدت كان المقدم للإمامة، ويخلع من لم تكمل فيه تلك الشرائط، ويقتل إن عاند ولم يدخل في الأمر العزيز، فلا يلتفت للزمان.

[قال المؤلف رضي الله عنه][1]: وشرائط الإمامة على ما ذكرته العلماء عشر: ست منها خلقية لا تكتسب، وأربع منها مكتسبة.

أما الخلقية فالبلوغ والعقل والحرية والذكورية ونسب قريش وفيه خلاف، ولم يره بعض العلماء؛ وسلامة حاسة السمع والبصر.

وأما الأربع المكتسبة فالنجدة والكفاية والعلم والورع.

قال المؤلف: وهذه الشرائط كلها موجودة في هذا الخليفة، والهوى معرّى عنها نعوذ بالله لا نشرك به أحداً؛ فلنذكرها شريطة شريطة حتى نستوفيها ونبين أن الروح قد جمعها.

الشرط الأول ـ في الخلافة ـ البلوغ:

فإن الإمامة لا تنعقد لصبي اعتباره في الروح. البلوغ نوّر الله بصيرتك أمر شرعي، وبلوغ الروح اتصاله بالإلٰهية؛ وقد ثبت اتصاله على ما ذكرناه اتصال شرف ورفعة وبلوغ مقام كريم حين أخذ عليها الميثاق فقال لها: ﴿**ألست بربكم قالوا بلى**﴾ [الأعراف: ١٧٢]. فلو كانت الأرواح غير بالغة لما تصور منها هذا الجواب ولا توجه عليها هذا الخطاب شرعاً.

[الشرط الثاني ـ العقل:

فإن الإمامة لا تنعقد لمجنون إذ هو غير مخاطب ولا تكليف عليه، والإمام مكلف باعتباره في الروح يعقل عن الله ما يرد عليه منه، ولذلك قال: بلى، وهي صفة قائمة به، عنها صدر العقل الذي جعلناه وزيراً له فيما يأتي إن شاء الله تعالى][2].

الشرط الثالث ـ الحرية:

فإن الإمامة لا تنعقد لرقيق، وذلك أن الإمامة تستدعي أن يستغرق الإمام أوقاته في أمور الخلق وهذا لا يتفق للعبد إذ سيده مالك له يقطع عليه النظر في مهمات الخلق باشتغاله في تصرفاته. واعتباره في الروح لا يوجد أشد حرية منه ولا أكمل، إذ ليس لأحد

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

عليه ملك إلا لله تعالى. وكيف يتصور ذلك وهو أول المحدثات، وكون الإمام مستغرقاً في مهمات الخلق فكذلك الروح مستغرق في مهمات ملكه. قال الله تعالى: ﴿**يسبحون الليل والنهار ولا يفترون**﴾ [الأنبياء: ٢٠].

الشرط الرابع ـ الذكورية:

فإن الإمامة لا تنعقد لامرأة، والذي منع من ذلك أنه ليس لها منصب القضاء ولا منصب الشهادات في أكثر الحكومات شرعاً واعتبارها هذا بيّن بنفسه لا يحتاج إلى شرح. والذي منع [أن تكون النفس إماماً وإن] اتصفت بصفات الكمال، فإنها في الكون تحت حجاب الصوت، وهي كريمة هذا الإمام، وهي محل الفجور والتقوى، والعلة مطردة في الخلافتين معاً.

الشرط الخامس ـ النسب:

اعتباره الدخول في المقامات المحمدية وهي الدورة الثانية الإلٰهية التي حضرتها الأولية والآخرية، بعث آخراً وقيل له متى كنت نبيًّا؟ قال ﷺ: وآدم بين الماء والطين؛ فانتهت في عيسى عمّ الدورة من آدم. وكذلك جعله في كتابه كما قال تعالى: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم [خلقه من تراب]**﴾[1] [آل عمران: ٥٩] فختم بمثل ما به بدأ، واختصت الدورة الثانية الحاكمة على الكل، المحمدية المحيطة بجوامع الكلم؛ وهي الدورة التي من الشرق إلى الغرب. فكما أن محمداً عمّ أرسل إلى الكافة كذلك الروح أرسل إلى كافة البدن. وفي هذا سر عجيب نذكره في غير هذا الكتاب، فهذا فائدة النسب للروح.

الشرط السادس ـ سلامة حاسة السمع والبصر:

إذ الأعمى والأصم لا يتمكن من تدبير نفسه فكيف يدبر غيره. واعتباره في الروح سماعه بالحق ونظره بالحق، فتقدس عن الآفات وتنزه. قال ﷺ مخبراً عن ربه: «ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»[2]. وهنا سر يبحث عنه فإنه كذلك كان. فمن كان الحق سمعه وبصره كيف لا يدبر نفسه وغيره.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) سبق تخريجه.

الشرط السابع والثامن ـ النجدة والكفاية:

وهما من صفات الأرواح، ألا ترى أن الله تعالى لما أراد نصرة عباده أمدهم بملائكته وأيّدهم بهم. قال تعالى: ﴿**إني مُمِدكم بألف من الملائكة مردفين**﴾ [الأنفال: ٩] وقال: ﴿**وأيدهم بروح منه**﴾ [المجادلة: ٢٢].

الشرط التاسع ـ العلم:

وهذا قد ظهر في آدم عمّ حين علم الأسماء كلها فلا يحتاج ذكره.

الشرط العاشر ـ الورع:

وهو منبعه وإليه مرجعه إذ الشريعة رداؤه والحقيقة إزاره.

فقد تكملت الشرائط في هذا الخليفة، وصحت خلافته وانعقدت إمامته. قلنا: فلنرجع إلى السبب الذي لأجله وقعت الحروب والفتن بينهما.

فأقول: إن السبب في ذلك طلب الرئاسة على هذا الملك الإنساني؛ فإذا أصبحت الرئاسة لأحدهما عليه سعى في نجاته وإقامته، وحمى دياره وأعلى مناره وحجبه عن الأسباب الرديئة له في الدارين علىٰ حسب ما يتخيله أو يعلمه. واعلم أن سبب نجاته من كل أمر مهلك هو طاعته لأمر داع من خارج يقال له الشرع، عرفه الروح إذ هو من جنسه؛ وجهله الهوى. فالهوى يتخيل له أن النجاة في حيزه؛ والروح يعلم أن النجاة في حيزه؛ فنشأ الخلاف ووقع الشتات.

والذي دعا إلى ذلك أن حقيقة الأمرين مختلفان فلما جاء الداعي من خارج نظرا إلى نتيجة ذلك الأمر فوجدا له نتيجتين: في الواحدة الهلاك وفي الأخرى النجاة؛ فطلب كل منهما سبيل النجاة وتجنب المهلكات على حسب ما اقتضته الحكمة الإلٰهية. وكل لو ترك والاعتذار لكانت له حجة ما، ولكن حسمها الحق جل اسمه بحجته البالغة حيث قال: ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ [الأنبياء: ٢٣]. وهؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي وجف القلم.

فنقول إن الروح حقيقته نور والهوى حقيقته نار، وكل واحد منهما يتنعم من وجوه في وجوده إذ هي صفته النفسية؛ وإلا فلو تيقن من حقيقته ناراً أنه يتعذب بها وأن الفاعل قادر على ذلك، لطلب الفرار إلى محل وجود النور ولو تحقق فيه النجاة؛ لكن جهل ذلك فكل داع إلى مقامه بل النار تتعذب بالنور.

.... كما تضر رياح الورد بالجعل[1]

فإذا كان يتعذب بالنور يتخيل أن هذا الملك الإنساني يتعذب أيضاً بالنور فهو أبداً يطلب أن يخرجه من النور، ويحجبه عنه بالأفعال التي تؤديه إلى الخروج عنه، وهي الشهوات التي حفت النار بها، فمن وردها فقد ورد النار.

ويطلب أيضاً الروح الذي هو نور مثل ذلك، وكل واحد منهما ينظر في الأسباب الموصلة هذا الملك الإنساني إلى حزبه، فيعرضها عليه ويحليه بها، وقد صح عندهما أنه متى تحلى أو اتصف بوصف ما كان ملكاً [لصاحب هذا] الوصف، فكان المستولي عليه فوقعت الفتن والحروب.

ولو ترك كل واحد منهما النظر من نفسه ونظر إلى هذا الداعي من خارج، الذي هو الشارع، وقال: وجدت داعياً من خارج ثبت صدقه وعصمته؛ فما قال فيه النجاة فهو ذلك، وما قال فيه الهلاك فهو ذلك لوقع التسليم والانقياد، وارتفعت الفتنة وحصل الملك في حزب النجاة. لكن هذا لا يصح أبداً إذا كانت تزول حقيقة الهوى فإنه عين المخالفة، فلو عدمت انعدم وذهب، لكن الله تعالى من هذا تدبير عجيب، يحجب عن من يشاء ويكشف لمن يشاء، ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾؛ ﴿**ولله الحجة البالغة فلو شاء** [**لهداكم، ولو شاء ربكم**][2] **لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك**﴾ [هود: ١١٨]، وهم أهل الجمع ولذلك خلقهم لتظهر أسماؤه في الوجود، [والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين][2].

---

(١) **الجُعَل**: جنس خنافس من مغمدات الأجنحة، وفصيلة الجعليات، أنواعه كثيرة العدد تتميز بجثتها الرَّبعة، المفلطحة، المحدبة الظهر، قرونها الاستشعارية ورقية الشكل تعيش على المواد النباتية والعضوية، يرقاتها مؤذية (ج) جعلان.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

الباب الخامس
في الاسم الذي يخص الإمام وحده وفي صفاته وأحواله وأن الإمام لا يكون أبداً إلا واحداً من أربعة

جرت الحكمة الإلٰهية في العالم أن يكون للخليفة عليه اسم يختص به وحده دون غيره لا سبيل إلى أن يتسمى به أحد، حتى إذا ذكر تميز وعرف، ولم يعط اللفظ على مجرى العادة أن يفهم منه غير الإمام، ولا عليه من بقية أسمائه ولو كانت ألفاً بوقوع الاشتراك تأسياً بما استخلفه وهو الله تعالى؛ [فإنه سبحانه][1]، اختص باسم الألوهية حتى إذا قال أحد الله لم يفهم من هذا الإطلاق سوى الفاعل سبحانه، ألا ترى لما أنزل الله تعالى قوله: ﴿**اعبدوا الله**﴾ لم يقولوا وما الله؛ ولما قيل لهم ﴿**اسجدوا للرحمٰن**﴾ قالوا: وما الرحمٰن.

قلنا: إن ننظر أي اسم يختص به هذا الإمام نطلق عليه، فلم نجد شيئاً إلا بما سماه به الله تعالى في قوله: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ [البقرة: ٣٠]؛ وقد منع سبحانه أن يوجد منه في زمان واحد اثنان، فحسم ذلك بقوله: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».

فلا تصح إقامة ملك بين مدبرين وإن اتحدت إرادتهما. قال الله تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ [الأنبياء: ٢٢]، لأنه قد يأمر أحد الخليفتين بعين ما ينهي عنه الآخر، ولا بد من امتثال أمر أحدهما إذ لا يسوغ امتثال الأمرين: فإن تركوا عوقبوا، وإن أطاعوا أحدهما عاقبهم الآخر، إذ بنفس ما يطيعون الواحد عصوا الآخر، فعاقبهم من عصوه، فوجب على من أطاعوه نصرتهم، فأدى ذلك إلى حروب وفتن تشكل عن تدبير بالملك، فيخرب، فلهذا نص على خليفة واحد.

اعتراض: فإن قيل قد سمعنا الله يقول: ﴿**هو الذي جعلكم خلائف في الأرض**﴾

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

[فاطر: ٣٩]، وقد قلت إنه أحد شرعاً، فكيف الجمع؟ فنقول: إن سر الخلافة واحد وهو متوارث تتوارثه هذه الأشباح؛ فإن ظهرت في شخص ما دام ذلك الشخص متصفاً به. ومن المحال شرعاً أن يوجد لذلك القبيل في ذلك الزمان بعينه في شخص آخر ثانٍ؛ وإن ادعاه أحد فهو باطل ودعواه مردودة، وهو دجال ذلك الزمان، فإذا فقد ذلك الشخص انتقل ذلك السر إلى شخص آخر، فانتقل معه اسم الخليفة، فلهذا قيل خلائف.

فانظر في هذا الفصل فقد نبهت على أسرار لم أجزم على إيضاحها.

تنبيه:

فإذا تقرر هذا وثبت فينبغي لهذا الخليفة أن يتخلق بأسماء من استخلفه حتى يظهر ذلك في أخلاق رعيته وفي أفعالهم. وقد ذكرنا معنى التخلق بالأسماء الربانية في كتابنا المترجم «بكشف المعنى عن سر أسماء الله الحسنى».

يا أيها السيد الكريم، حافظ على شريعتك واجعل ملكك خادماً لها، ولا تعكس فيعكس عليك، ولا تغفل عن النظر في كل حين في رعاية الأحكام الظاهرة والأسرار الباطنة المتولدة عنها، التي وهبها الله تعالى لك على طبقات العوالم الذين ذكرناهم في الإنسان، ثم يندرج الأمر إلى وزيرك فيكون على هذه الحالة إلى كتّابك إلى كل والٍ في مملكتك. فعليك بكظم الغيظ وتوقير الكبير ورحمة الصغير، ورؤية إحسان المحسن، والغض عن إساءته، والتغافل عن الزلة والسقطة، وذلك بأن تذل العين يوماً بنظرة في فضول، أو اللسان في لفظة فضول، فتكظم الغيظ بالاستغفار والإنابة مما وقع فيه، لا كمن أغمض عينه أعواماً أو صمت من غير استغفار زماناً.

وأما توقير الكبير فليس في الباطن للسن حظ، وإنما هو الكبير بالشرف والمرتبة، والصغير على هذه النسبة.

وأما رؤية إحسان المحسن، فإذا أحسن إليك عامل من عمالك مثل العين والسمع، فلك أن تجزل له العطاء على ذلك من مقامه وما يليق به.

تذكرة: والذي أوصيك به أيها السيد الكريم، أن لا تنفذ أمراً في ملكك حتى تنظر إلى عاقبة ذلك الأمر؛ فإن أعقب خيراً أمضيت وإلا أمسكت. فتأنَّ في أمورك، أعني في الطاعات، إذ العلل كثيرة؛ فإن النفس قد تأمر بالطاعة لأمر ما تجب مخالفتها فيه؛ وهذا عند أرباب النفوس باب متسع فيه عبرة.

(**يا أيها السيد الكريم**): والذي أوصيك به أن لا تنجلي لرعيتك إلا لمحة بارق أو خيال طارق، فإنهم لا يعرفون قدر الخلافة لقصورهم. فربما بإدامة التجلي أساءوا الأدب بل لا يكونون إلا كذلك. قال الله تعالى ﴿**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء**﴾ [الشورى: ٢٧]. فقد نبّه على مقام القبض والتجلي هٰهنا، إنما هو إظهار التوحيد يوماً ما أو في نازلة ما لا يكون في كل الأيام ولا في كل النوازل، لأن استدامة التجلي تؤدي إلى تعطيل الأحكام والديانات.

وإذا كان ذلك كذلك، خرب الملك عاجلاً وآجلاً، فالله الله ولا لمحة بارق من التوحيد.

سياسة: يا أيها السيد الكريم، أصغ إلى سياسة مدينتك من أخ شفيق عليك رفيق بك: ينبغي لك عندما تريد أن تبرز لأهل مملكتك وتظهر في عالمك المتصل والمنفصل، من عالم الملكوت والجبروت[(١)] والشهادة، فلتقدم وزيرك العقل إلى جميع مملكتك يقوم فيهم مقامك، ويعرفهم بتجليك لهم، ويوقر في نفوسهم من هيبتك وجلالك وعظيم سطوتك ما لا تنفر نفوسهم به منك، ويوقر أيضاً في قلوبهم من حنانك ولطفك ورحمتك وجودك وجسيم منتك ما لا يؤديهم إلى الإدلال عليك، [فيلقوا بك] في حد [الاعتدال لا قانطين] ولا مدلين، بل معتدلين إن أرادوا الانبساط عليك قبضهم ما وقر في نفوسهم [من جبروتك وعظيم سطوتك، وإن أرادوا الانقباض بسطهم][(٢)] ما وقر في نفوسهم من حنانك ورأفتك، فهم في شهودك بين الخوف والرجاء في مقام الهيبة والأنس، قد أمنوا العقاب وخافوا الإجلال. شعر:

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

وهذا مقام لا يصح إلا في الطائفة الملكوتية والكروبية، وأما من دونهم فمشاهدة العقاب تمنعهم من الإدلال. قال الله تعالى: ﴿**يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾ [النور: ٣٧] وقال: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾ [النحل: ٥٠].

يا أيها السيد، واجعل عقوبة من عصاك على قدر مرتبته منك وقرب منزلته؛ [ألا

---

(١) الجبروت: صيغة مبالغة بمعنى القدرة والسلطة والعظمة.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

ترى][1] أبا يزيد البسطامي[2] رضه كيف أقام سنة ما سقى نفسه شربة ماء عقوبة لها حين امتنعت عليه لأمر أراده منها الله تعالى.

(تكملة حكمية): أيها السيد الكريم، نزه نفسك عن الدنيا وأوضارها، واجعلها خادمة لك ولرعيتك. وما الدنيا إلى جانب منصبك الذي أهّلك الله إليه، المقدس عن تعلق الكونين به. فكيف عن الدنيا التي مقتها الله تعالى وما نظر إليها من حين خلقها، وناهيك من تشبيه النبي ﷺ إياها بالجيفة[3] والمزبلة، مع إخباره أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنها ملعونة ملعون ما فيها: إلا ما كان من ذكر الله فيحمل بهمة خليفة مثلك قد خلقه الله نوراً جوهرة يتيمة أن يلحظ ببصره أو بطرفه إلى جيفة أو مزبلة، أو يتكالب عليها وقد قال تعالى: «يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك»[4].

فالدنيا وفقك الله تطلبك حتى توفيك ما قدره لك من استخلفك من جاهك ورزقك وأرزاق رعيتك، فأجمل في الطلب واسع في تخليص رعيتك وتخليص نفسك باشتغالك بما كلفك من استخلفك من الأوامر والنواهي والحدود. فعليك بالإعراض عن الدنيا تأتك خادمة راغمة؛ والذي يصل إليك منها وأنت مقبل عليها هو الذي يصل إليك وأنت معرض عنها.

ذكر كعب الأحبار[5] [رضي الله عنه][6] أن الله تعالى ذكر في التوراة: **(يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك**

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) هو طيفور بن عيسى البسطامي (١٨٨ ـ ٢٦١ هـ = ٨٠٤ ـ ٨٧٥ م) أبو يزيد، ويقال بايزيد زاهد مشهور، له أخبار كثيرة. كان ابن عربي يسميه أبايزيد الأكبر. نسبته إلى بسطام. أصله منها، ووفاته فيها، وفي المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود، وأنه ربما كان أول قائل بمذهب الفناء، ويُعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية. الأعلام ٣/ ٢٣٥، وطبقات الصوفية ٦٧ ـ ٧٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٣١، وميزان الاعتدال ١/ ٤٨١، وحلية ١٠/ ٣٣، والشعراني ١/ ٦٥، والرسالة القشيرية ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧ج

(٣) الجيفة: جُثة الميت إذا أنتنت (ج) جيف (جج) أجياف.

(٤) أخرجه الفتني في (تذكرة الموضوعات ١٧٥).

(٥) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/ ٤٩، وحلية الأولياء ٥/ ٣٦٤، ٦/ ٣، والإصابة ت ٧٤٩٨ والنجوم الزاهرة ١/ ٩٠ وهو فيه «كعب بن نافع».

(٦) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركض الوحش في البرية؛ ثم وعزتي وجلالي لا تنال منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم).

فعلق الإرادة بالقلب مع البدن إذ لا يصح طلب شيء من غير إرادة، إذ هي المحركة للباعث [على البحث][1] والتفتيش والإرادة من خاصتك المصرِّفة لعامتك، فإن تصرفت في المضمون تصرفاً كليًا لم تتهيأ لامتثال أوامرك عليها، وعند عدولها عن ذلك كنت لئيماً على رعيتك على ما يرد في داخل الباب.

فالله الله، اجهد أن لا تتعلق لك إرادة إلا بمراد محبوبك ومطلوبك من جهة ظاهر الأمر وباطن الإرادة بعد وقوع المراد المؤدي إلى العلم بأن ذلك الواقع لولا ما سبق في العلم على ذلك وتعلقت به الإرادة لما وقع على ذلك الوصف مع جواز تبدله في نفسه في وقوعه على غير ذلك.

فإذا تقرر هذا فإني أضرب لك مثالاً لمن لم [يفهم من عمالك وولاتك] فيما تقدم من طلب الرزق الذي لا بد منه مثلك في طلب الدنيا والإعراض عنها والقرب منها، والحق سبحانه قال: **﴿وله المثل الأعلى﴾** [الروم: ٢٧]: رجل صرف وجهه للشمس فرجع ظله خلفه. فقصد نحو الشمس فاتبعه ظله ولم يلحقه ولا نال منه إلا ما كان تحت قدميه؛ وفي الاستواء، أعني استواء الشمس في قبة الفلك، على رأس الرجل سر لا ينكشف ولا نودعه كتاباً وهو موجود في قوله تعالى: **﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾** [الفرقان: ٤٦].

[قال المؤلف رضي الله عنه][1]: ثم نرجع إلى المثال فنقول، ثم إن هذا الرجل إن أقبل بوجهه على ظله واستدبر الشمس وجرى ليلحق ظله، فلا هو يلحق الظل وقد فاته حظه من الشمس، وهم الذين قال الله [جل اسمه][1] فيهم: **﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾** [الحديد: ١٣]؛ وما لحق من الظل [إلا ما تحت قدميه، وهو الحاصل له في استدباره الشمس. فأنت ذلك الرجل][1] والشمس وجود الحق والظل الدنيا، وما حصل تحت قدميك القوت الذي لا بد منه.

يا أيها السيد الكريم، وهل خلقت الدنيا إلا من أجلك، وخلقك سبحانه من أجله، فأوجدك له وأوجد الأشياء لك. أنزل في التوراة: يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك [وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك][1].

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

قال الله تعالى في القرآن العظيم: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾** [الذاريات: ٥٦، ٥٧]؛ وقال: **﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾** [القصص: ٧٣]، وقال تعالى: **﴿الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾** [غافر: ٧٩]، **﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها﴾** [النحل: ٨]، إلى أمثال هذا مما لا يحصى في القرآن كثرة.

تتميم: يا أيها السيد الكريم، تحبب إلى رعيتك وأجزل لهم العطايا كل صنف ما يصلح به، وذلك بأن تمنعهم من المحارم وتجزل لهم مواهب الطاعات على قدر الاستطاعات، وتذكر قول من استخلفك: **﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم [بما كانوا يعملون]﴾** [النور: ٢٤] وقوله: **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾** [الإسراء: ٣٦]. فهاتان الآيتان شملتا خاصتك وعامتك **﴿ولا تَمْشِ في الأرض مرحاً﴾** [الإسراء: ٣٧]، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، وتفقد النفس الأمارة بالسوء واللوامة؛ واجعل وزيرك يتلطف لها في كل حين ويسوسها، فإنها مدبرة بادية مملكتك، [فإنها لا تلقي للحواس إلا ما يُلقي إليها، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر؛ فتصلح عند ذلك مملكتك] وتكثر جباياتك وتظفر بأعدائك.

فاجعل أبداً همتك في إصلاح الأقرب، فالأقرب يقل [سعيك وطلبك] وسلط الصالح على الفاسد يصلحه؛ وإياك أن يكون ذلك بالخوف الشديد فتزيدهم نفوراً، **﴿فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾** [آل عمران: ١٥٩]؛ فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

سياسة: يا أيها السيد الكريم، ينبغي لك بل هو أكيد عليك ان لا تضع شيئاً في غير موضعه، ولا تبرز شيئاً إلا في وقته المعهود عندهم؛ وإياك وخرق العادة، وخاصة عند مسيس الحاجة إليه ليكون القبول عليه أشد، إذ العادة [وفرت الدواعي إلى ذلك الوقت لظهور ذلك الأمر المنتظر، مثل لو خرق الله العادة][١] بنزول المطر في غير وقته، واستدامة الصحو في غير وقته، أدى ذلك إلى القنوط والكفران، فهم مع الإحسان يبغون في الأرض فكيف بالإساءة؛ وإن ظهر مثل هذا في سنة فلأمر ما وعدل منه، ابحث عنه تجده. فتخلق بهذه الأوصاف تكن لك السلامة دنيا وآخرة.

[قال المؤلف رضي الله عنه][١]: إذا هممت بأمر فقل إن شاء الله كما قال تعالى:

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل غداً إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف: ٢٣] ولا تتأل على الله ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ [النحل: ٩١]، ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾ [النحل: ٩٤].

واحذر قرناء[١] السوء فإنهم يأكلون دراهمك ويقربون للنار لحمك ودمك، فلا تصحب إلا خليلاً تجد معه الزيادة في دينك. فإن رأيت في صحبته النقص في ذلك فبئس القرين، وهو أكبر عدو لك؛ فاحترز منه في ملكك فإنه يكون سبب خرابه.

وهذا القرين فيك هو هواك [كما قيل: جاهد هواك] فإنه أكبر أعدائك، وقال تعالى: ﴿وقاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ [التوبة: ١٢٣] وهو أقرب الكفار إليك، فاشتغل به وإلا اشتغل بك؛ فإن السباع العادية تهدم بادية مملكتك وتحرمك النعيم الدائم وهذا يهدم دينك.

أيها السيد الكريم، أوصي وزيرك وحاجبك أن لا يدخل عليك من الصفات التي هي جباياتك إلا صفة يتحقق فيها أنها نتيجة عن مقدمتين صحيحتين ضروريتين، وفرع عن أصلين كريمين مستقيمين؛ فإن من الصفات ما ترد عليك بها النفس مما يعطيها الهوى لتهلك بها فتأتي إليك بها في أحسن صورة تكون وباطنها ضد ذلك؛ حتى إذا اختبرت ذلك وجدت صحته فتحفظ فإذا جاءتك بصفة ودخلت عليك فانظر سابقتها وعاقبتها بالأدلة الواضحة الشرعية العقلية والعادية، واسبرها في محك النظر ومجاري الفكر، وزنها بمعيار العلم، وتفرس فيها ما تعطيك الأدلة المنصوبة للفراسة. فإن كانت تعقب خيراً فتحلَّ بها، وإن كانت خلاف ذلك فاقتلها؛ فتلك الصفة هي التي نبهنا رسول الله ﷺ بقوله: «**إياكم وخضراء الدمن**»[٢] فالشيء ضرورة إنما يعقب بحسب أصله وإليه يرجع.

تنبيه: حافظ على ذاتك الشريفة الروحانية، واعرف قدرها ولأي شيء وجدت وما المراد منها. وإن أمكنك أن لا تصرفها في قيام وقعود وحركة وسكون، وأشباه ذلك من

---

(١) القرناء: (ج) القرين: المُصاحب.

(٢) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٣٤٤، ٩/ ٨٩)، والسيوطي في (جمع الجوامع ٩٣٢٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٤٤٥٨٧، ٤٥٦١٥، ٤٥٦٢)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ٣/ ١٤٥)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٤٢)، والكمال في (الأحكام النبوية في الصناعة الطبية ٢/ ٢٢)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ١٢٧)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٥٦)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ١٣٨، ١٣٩)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ١٣٠)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٣١٩)، والألباني في (السلسلة الضعيفة ١٤)، والشهاب في (المسند ٩٥٧).

جميع أفعالك إلا عن أمر إلٰهي علوي. فتحقق كما قال الخضر [عليه السلام]: «وما فعلته من أمري، فنظر نظرة في النجوم وقال: إني سقيم، وما ينطق عن الهوى».

وإياك وإنفاذ أمر في ملكك حتى تشاور فيه وزيرك، فإنه في مشاورتك إياه تثبت مودتك في قلبه، والمودة تورث الشفقة، والشفقة تورث النصح، والنصح يورث العدل، وبالعدل بقاء المملكة. هكذا ينبغي أن تكون صفات الإمام وأحواله وإلا [هلك وأهلك].

فصـــل:

لا يخلو الإمام أن يكون واحداً من أربعة، بالجود ظهر الوجود ودام.

قالت الحكماء: الملوك أربعة لا خامس لها: ملك سخي [على نفسه سخي][1] على رعيته، [وملك لئيم على نفسه لئيم على رعيته][1]، وملك سخي على نفسه لئيم على رعيته، وملك لئيم على نفسه سخي على رعيته، ولا يخلو ملك من أحد هذه الأوصاف.

كذلك هذا الخليفة لا يخلو من أحدها، ولم يزل العارفون بالله تعالى على قديم الزمان يتتبعون أنفسهم بالنصر والاعتبار لتصحيح النسختين، فنقول ظهر لنا في [الوجود الإنساني] علم وهو مقام الجمع، وعمل وهو مقام التفرقة، وهو حد الكرسي، والأول حد العرش. فرد الوتر إلى الكرسي الذي هو موضع القدمين، فتكتسب الشفعية إلى الأرض. وهذا الملك هو الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم.

فيا أيها السيد الكريم، إن كنت صاحب علم وعمل فأنت سخي على رعيتك سخي على نفسك، وإن كنت لا صاحب علم ولا عمل، فأنت لئيم على نفسك ورعيتك، [وإن كنت صاحب علم لا صاحب عمل فأنت سخي على نفسك لئيم على رعيتك]. وإن كنت صاحب عمل لا صاحب علم فأنت لئيم على نفسك سخي على رعيتك، وهنا سر منعنا عن كشفه تركناه لأهل الأذواق والتحقيق وانحصرت الأقسام.

ولعل معترضاً [يقول: نسلم] القسمين [وهما قولك صاحب علم وعمل فإنه العالم العامل، ولا صاحب علم ولا عمل وهو عكسه؛ ولا نسلم القسمين] الآخرين. فنقول له: الأقسام صحيحة واضحة، وذلك أن الأرواح نعيمها بالعلوم والمكاشفات والأجسام نعيمها بالمحسوسات من المطعومات والمشمومات؛ وعذابهما بأضداد هذه.

فإذا سلمت القسمين فيلزمك أن تسلم القسمين الآخرين، وذلك أنه [الذي هو

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

صاحب عمل] لا صاحب علم فإنه المقلد وهو صاحب عمل، وليس لروحه علوم يلتذ بها، إنما هي مسجونة مقيدة بالنظر إلى ما يؤول إليه محلها من نعيم الجنان، ولا نقول: إن هذا صاحب علم.

وأما القسم الآخر وهو صاحب علم لا صاحب عمل، فهو العالم المرتكب الشهوات والمسخر في المحرمات. فإن روح هذا متنعم بما يكشف له من العلوم، ورعيته معذبة بما ارتكب من المحارم المؤدية إلى دار البوار، فتدبر هذه الأقسام ترَ الحكمة البالغة.

ثم لنا أن نبين ما نريده بالسخاء واللؤم في هذه المواضع، وفي حق هذا العالم المودع في هذا الكتاب، فنقول: إن السخاء بذل الشيء عند الحاجة إليه من غير زيادة ولا نقصان. واللؤم منع الشيء مع الحاجة إليه [وبذل الشيء من غير حاجة إليه]. فمن جاوز فقد أفرط، ومن قصر فقد فرط؛ وكلا طرفي قصد الأمور ذميم. وفي ذلك أقول، شعر:

جرى مثل دل السماع مع الحجى عليه على مر الزمان قديم[1]
توسط إذا ما شئت أمراً فإنه كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فقف رحمك الله عند هذا الحد، فظاهر الخليفة عمل وباطنه علم، وظاهره حد وباطنه مطلع.

والرعية على قسمين: بادية وحاضرة، فالبادية عالم الشهادة المنفصل في حق المتبوع المحمدي، والحاضرة على قسمين: خواص وعوام. فالعوام عالم الشهادة المتصل وهي البادية في حق غير المتبوع. والخواص على قسمين: عالم العقل وعالم النفس. فعالم النفس ينقسم قسمين: مطيع وعاصٍ. فالمطيع يسمى عالم الجبروت وعالم النفس على الجملة هو البرزخ عندهم، والعاصي هم أعداء هذه المدينة الذين ذكرناهم.

وعالم العقل على قسمين: محجوب وغير محجوب. فأصحاب الأوصاف محجوبون، وهم عالم الملكوت أصحاب المقامات، قال الله تعالى: ﴿**وما منّا إلا له مقام معلوم**﴾ [الصافات: ١٦٤]، وغير المحجوب هم أصحاب السلب عرائس الله المجنّون عنده في خزائن غيوبه حجبهم غيرة عليهم حتى لا يعرفهم سواه، كما لا يعرفون إلا إياه، وهم في المقام الذي يعبر المحققون عنه بالفناء الثالث المحق الكلي، وهم خواص هذه المدينة، فانظر في هذه الأقسام ترشد إن شاء الله تعالى.

---

(١) الحِجا: العقل والفطنة (ج) أحجاء.

يا أيها السيد الكريم، إذا تحققت هذا فابذل لكل عالم ما يحتاج إليه حسب ما حددت لك آنفاً وكذلك لنفسك، فتكون في المقام المحمدي صاحب علم وعمل وهو الكمال. والسخاء كل السخاء الزهد فيما في أيدي الناس، فما أحبت رعية مليكها حتى زهد فيما عندها. والسخاء يورث المحبة، والمحبة تورث القربة، والقربة تورث الوصلة، والوصلة تورث الجمع، وهنا إشارة مضمونة تحت حجاب الغيرة.

فكذلك ينبغي لك أن تزهد في أفعالك وأقوالك واعتقاداتك، وتبني البيت وتوقد السراج، وتضرب الستارة وتبرز الصور [تَبدُ لك] الحكمة الإلٰهية وتلوح لك الحقائق على ما هي عليه، وموضع هذا من الكتاب العزيز: ﴿**والله خلقكم وما تعلمون**﴾ [الصافات: ١٩٦].

فكما أن الإنسان إذا ترك ما للناس عند الناس أحبه الناس، كذلك إذا تركت ما لله عند الله، ولم تطمع فيه ولا أضفت شيئاً إلى نفسك من جميع أفعالك كنت على الحقيقة زاهداً وعلى التوحيد راشداً.

فاسع في اكتساب هذه الأوصاف تكن من أهل الإنصاف، وقديماً خبرت الناس في أوطاننا وأوطانهم فلم أر لديهم أعظم قدراً ولا أكبر خطراً ولا أجل في نفوسهم [من رجل طال صمته وقل كلامه، وإن تكلم بالحكمة فإن القلة منها أحسن من الكثرة وأقبل لنفوسهم] حذر السآمة[١]، وهو حد السخاء المتقدم.

وقد كان رسول الله ﷺ يتخلل أصحابه بالموعظة الحسنة مخافة السآمة عليهم، وكذلك ينبغي للوارثين أن يكونوا.

وكذلك لم أر أعظم عندهم وأجل في نفوسهم وأحب إليهم من رجل زهد فيما في أيديهم واحتجب عنهم، ولم يظهر لهم إلا عندما يعرف أن الحاجة قد مستهم للنظر إليه، فحينئذٍ يظهر لهم على ما قدمت لك في أول الباب.

فصـــل:

فكل شيء يورده في ذلك المقام قبل لتعطش النفوس إليه، فإن أقبلوا عليك بشيء من دنياهم فارغب عنها وردها على فقرائهم، فإن أبوا إلا بواسطتك فخذ منهم وادفعها إلى فقرائهم على علم منهم بذلك. هكذا تكون حالة الإمام، وبها يعظم عند أهل مملكته [والحمد لله رب العالمين].

---

(١) السآمة: الملل والضجر.

الباب السادس
في العدل وهو قاضي هذه المدينة القائم بأحكامها

أيد الله السيد السند، الهمام الإمام، الأعدل الأكمل: ينبغي لك إن أردت بقاء مملكتك والظفر بأعدائك، أن يكون متولي أحكام رعيتك ومنفذ قضاياك العدل، فإنه أبقاه الله عليك ما ولي مدينة قط ولا مملكة إلا ظهرت فيها البركة ونمت الأرزاق وعمت الخيرات جميعها. وهو موجود محمود محبوب على ممر [الليالي والدهور والأعوام والأعصار]، وهو الميزان الموضوع في الأرض وبه يكون الفصل في العرض الأكبر بين العباد، وهو الحاكم في ذلك اليوم، وهو المأمور به شرعاً. وإن الملك جسد روحه العدل، ومتى لم يكن العدل خرب الملك. وكانت الحكماء تقول: «عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان».

وقد أمر الله تبارك وتعالى عباده فقال: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ [النحل: ٩٠]، وذم من لم يتصف به ولا جعله حاكماً عليه فقال: ﴿**ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، [يوم يقوم الناس لرب العالمين]**﴾ [المطففين: ١ ـ ٦].

وقال لقمان لابنه: «**واقصد في مشيك واغضض من صوتك**».

[وقال تعالى: ﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً**﴾ [الإسراء: ١١٠] وهو العدل] وقال تعالى: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط**﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال ﷺ [لأبي بكر: ارفع من صوتك، ولعمر أخفض [صوتك قليلاً](١)، ومنه

---

(١) أخرجه أبو داود في (السنن ١٣٢٩)، والحاكم في (المستدرك ١/ ٣١٠)، وابن خزيمة في (الصحيح ١١٦١)، (بغوي ٤/ ١٩٠)، وابن كثير في (التفسير ٥/ ١٢٧)، والهيثمي في (موارد الظمآن ٦٥٦) والسيوطي في (الدر المنثور ٤/ ٢٠٧).

فعله عمّ] وقد انقطعت إحدى نعليه فنزع الأخرى ومشى حافياً حتى يعدل في أقدامه: وعليه أنشأه الله وصوره. ومن وصايا بعض الحكماء: «لا تكن حلواً فتشرط ولا مرًّا فتسقط».

فالعدل سارٍ في جميع الأشياء، فاجعل العدل حاكماً على نفسك وأهلك ورجلك وخولك وعبيدك وأصحابك، وجميع من توجه عليه حكمك، وفي كلامك وفعلك ظاهراً وباطناً، [والله أعلم].

الباب السابع
في ذكر الوزير وصفاته وكيف يجب أن يكون

جرى التدبير الرباني الحكمي في العادة أن [لا يستقيم أمر ملك] في ملكه إلا بوزير يدبره يكون واسطة بين المالك والمملوك. ولذلك اقتضت الحكمة لما أبرزنا هذا الخليفة المذكور أن نجعل له وزيراً يسمى عقلاً، وعليه يتوجه الخطاب من الله تعالى إذ هو مدبر المملكة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إن في... لآيات لأولي الألباب**﴾ [آل عمران: ١٩٠] ﴿**وأولي النهى**﴾ [طه: ١٢٨] ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب، أي عقل، [أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾ [قٓ: ٣٧] **أي عقيل**].

فأوجد الله سبحانه لهذا الإمام هذا الوزير الذي يقال له العقل، وإنما سمي عقلاً لأنه يعقل عن الله تعالى كل ما يلقي إليه، وهو على المملكة كالعقال[١] على الدابة يحفظها حذر الحران[٢] ولهذا سماه عقلاً واصطفاه له وزيراً فعيلاً. يحتمل [أن يكون من الوزر] والوَزَر وكلاهما موجود فيه، فإن كان من الوزر الذي هو الثقل فإنه حامل أثقال المملكة وأعبائها؛ وإن كان من الوَزَر الذي هو الملجأ، فإنه يلجأ إليه في جميع الأشياء، إذ هو لسان الخليفة والمنفذ عنه أوامره فلهذا المعنى صح عليه اسم الوزارة.

لما لم يكن أيضاً بد من وجود معنى هذا اللفظ وهو موجود عجيب ومخترع لطيف، أوجده الباري في ثاني مقام من الإمام، وأنزله من الخليفة منزلة القمر من الشمس على مذهب من يقول بالاستمداد. ولهذا تراه عند حضور الملك وتجليه ليست له تلك الصولة ولا يبصر، لأن الأمر هناك صادر عن الإمام بارتفاع الوسائط، وهيبة المشاهدة عظيمة. وحظها من كتاب الله قوله تعالى: ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾ [غافر: ١٦] وفي وقت الحجاب وقعت الدعاوى، [نعوذ بالله من حجاب الدعوى].

---

(١) العِقال: حبل يُربط به البعير في وسط ذراعه.

(٢) حرنت الدابة: وقفت ولم تُطع صاحبها في الانطلاق.

فمتى احتجب الخليفة، كان للوزير الظهور وإنفاذ الأوامر والإعطاء والمنع، إذ هو لسان الخليفة والمترجم عنه؛ وهذا موجود سر روحانية القمر والشمس. ألا ترى القمر إذا حصل في قبضة الشمس ليس له نور ولا ظهور لاستيلاء الشمس عليه؟ فإذا كانت الليالي البيض كان له الظهور التام بمغيب الشمس عن مرأى أعين الناظرين. فالقمر في ذلك الوقت يشاهد الشمس والعالم والناس لا يشاهدون إلا القمر، وهذا سر عجيب وهذا باب عظيم لأهل الحقائق فيه مجال وانفساح، ولأرباب القلوب فيه اعتبار بين اندماج واتضاح، لأن الحكمة عجيبة في إبداره على قدر أسراره [ثلاثاً بثلاث].

وقد ذكرنا هذا السر في غير هذا الموضع مستوفًى في كتاب «المثلثات» لنا، وحظه من الكتاب العزيز ﴿**قل أعوذ برب الناس ملك الناس إلٰه الناس**﴾ [الناس: ١، ٢، ٣]. [وكان شيخنا أبو مدين رضي الله عنه ما حصل له من سر الوجود عند التجلي المحمدي إلا مقام ملك الناس]. ولهذا كان يصرح بأن سورته من القرآن ﴿**تبارك [الذي بيده] الملك**﴾، [الملك: ١] ومقام إلٰه الناس انفرد به القطب. ولذلك كان أبو مدين أحد الإمامين الموجودين في العالم.

ثم نرجع ونقول: فلما أبدع بنيته وسوى جوهريته أودع فيه حسن التدبير والسياسة، وجميع الأمور اللائقة بالمملكة من مقامه إلى أدنى موجود من رعيته، وعلى هذا المهيع[١] وردت الشرائع. ثم نقش سبحانه جميع العلوم في جوهر ذاته فصار محلاً للعلوم مع أنه لا يدري أين يصرفها ولا الحالات التي يصرفها فيها؛ وذلك حكمة منه تعالى ليكون مضطراً إلى الخليفة، كما فعل بالخليفة فيما تقدم عارفاً بنفسه وقدره، وعارفاً بمخدومه الذي أوجده من أجله، ثم أجلس سبحانه الخليفة على عرش الوحدانية ورداه برداء الفردانية وحلّاه بالصفات الإلٰهية، فاكتسى من الإجلال والهيبة والعظمة ما لو ظهر لعالم الشهادة منها مقدار سم الخياط[٢] لبهرهم وصعقوا من حينهم وسلبوا عن نفوسهم وهذا مقام الخليفة، فكيف بنا بمشاهدة الحق سبحانه في دار الكرامة.

فانظر وفقك الله ما أعظم هذه القدرة العجيبة التي يؤيدنا الله بها في إدراكنا عن النظر إليه جل جلاله في الدار الآخرة. فلما قام الخليفة في هذا المقام أدخل عليه العقل، [فلما دخل عليه تجلت صورة العقل] في جوهريته في دار الخليفة فلاحت له الأسرار والعلوم

(١) المهيع: الطريق الواسع البيّن (ج) مهايع.
(٢) سَمُّ الخِياط: ثقب الإبرة.

المنقوشة فيه، والناس يغلطون [في هذا المقام فيطلبون من خارج ما هو فيهم فيتعبون] ولو وقفوا عند قوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢١] لاستراحوا. شعر:

قد يرحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل

فإذا أراد العقل معرفة شيء من تدبير الملك وإصلاحه افتقر عنه ذلك إلى مشاهدة الإمام [فعند المشاهد] يلوح له المراد فيه فيقوم له التجلي منزلة الخطاب من الملك العلام إلى الوزير. إذ المراد حصول العلم، وبهذا يعبر عن مخاطبة المعقولات فإنهم ليسوا بأجسام تكون فيها أصوات وحروف. وإذا لم تكن أصوات وحروف ورقوم إلى غير ذلك من الدلائل فلك أن تنظر إلى ما تؤدي إليه تلك الأدلة من الأصوات وغيرها في قلب السامع فهو حصول المعنى، وهو أثر الكلام من المخاطب.

[فكذلك إذا] حصل للعقل آثار العلوم في قلبه من فيض الروح الكلي عبرنا عنه بالكلام والقول والخطاب فلما أوجده على هذه الصفة جعل مسكنه الدماغ ليشرف على أقطار المملكة وأن يكون قريباً من خزانة الخيال التي هي مستقر جبايات البادية وقريباً من خزانة الفكر والحفظ حتى يقرب عليه النظر في جميع مهماته.

فينبغي لك أيها الخليفة الأكرم أن تحافظ على وزيرك وتسايسه وتتحبب إليه، فإن في بقائه صلاح ملكك ومدينتك. ألا ترى إذا اتفق في العقل شيء وهلك بفساد محله كيف تخرب مدينة الجسم ولا يقدر الروح على تلفيقها؟ فحافظ على الوزير [حفظك على نفسك] فهو يدك التي بها تبطش وعينك التي بها تبصر، فمتى هممت بإمضاء أمر في ملكك فقرب العقل وتدبر معه وشاوره، وانظر إلى ما يصدر عنه فيه، واعمل بما يشير به عليك فإن الله تعالى قد أودع الصواب في رأيه.

وتحفظ من الوهم فإن الوهم موجود يبرز للنفس على صورة العقل، فقد يلتبس عليك وهو وزير مطاع، له في الإنسان تأثير عظيم، وهو المستولي على الناس والباعث على الأفكار الرديئة، وهو يورث الوسوسة، فتحفظ منه وميز وزيرك عيناً واسماً، ولا تستبد بنفسك فلا خير في أمر ولا ملك لا يدبره عقل.

ولما كان الوزير قد يشتبه به من أكثر وجوهه وصفاته لا من كلها اضطررنا إلى نعته بالنعوت الكاملة التي لا يمكن للوهم أن يتشبه بها على الكمال. فانظر إلى النعوت التي أنا أذكرها لك إن شاء الله، فإذا رأيتها قد قامت بموجود ما فذلك وزيرك وهو المراد، فاحفظها وأحصها [وحصلها وحصنها] تحفظ إن شاء الله تعالى.

تفصيل خلق الوزير وصفاته:

فاعلم رحمك الله أن العدل شخصه، والهمة رأسه، والجمال وجهه، والحفظ حاجباه، والحياء عيناه، والطلاقة جبينه، والعزة أنفه، والصدق فمه، والحكمة لسانه، والنية عنقه، والسعة واحتمال الأذى صدره، والشجاعة عضده، والتوكل مرفقه، والعصمة معصمه، والكرم كفه، والإيثار بنانه، والسجود يده، واليمن يمينه، واليسر يساره، والورع بطنه، والعفة فرجه، والاستقامة ساقه، والرجاء والخوف قدماه، والفطنة قلبه، والعلم روحه، والأمانة حياته، والزهد لباسه، والتواضع تاجه، والخشية إكليله، والحلم خاتمه، والأنس بيته، والهدى طريقه، والشريعة مصباحه، [والفهم دثاره]، والنصح شعاره، والفراسة علمه، والفقر كسبه، والعقل اسمه، والحق سمعه، فإذا رأيت هذه الأوصاف فاتخذه وزيراً ولليلك سميراً.

قال المؤلف رحمه الله: ولما كانت الفراسة علم هذا الوزير المذكور ومحل كشفه واطلاعه على ممكنات الخواطر ومغيبات الأمور، احتجنا إلى أن نسوق منها طرفاً مختصراً عقيب هذا الباب، حكمية وشرعية إن شاء الله.

الباب الثامن
في الفراسة الشرعية والحكمية

قال الله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [الحجر: ٧٥]. وقال ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[١] فالفراسة، أكرمك الله، نور من أنوار الله عز وجل، يهدي بها عباده، ولها دلائل في ظاهر الخلق؛ جرت الحكمة الإلٰهية بارتباط مدلولاتها بها. وقد تشذ ولكن ذلك نادر في الفراسة الحكمية الإلٰهية، إذ هي موقوفة على أدلة عادية ضعيفة.

وأما الشرعية فلا تشذ لأنها عن أمر إلٰهي كما قال: ﴿وما فعله عن أمري﴾ [الكهف: ٨٢]، فهي مستمرة عند أهلها لأن أدلتها في نفس [من قامت به، بخلاف الحكمية فإن أدلتها في نفس] المتفرس فيه، فرأينا أن نسوق في هذا الباب الفراستين معاً على أخص ما يمكن وأتمه.

الفراسة الحكمية، أعزك الله، من المعارف الفكرية والعلوم النظرية والأحكام التجريبية؛ وإنما مست الحاجة إليها في هذا ا لكتاب إذ ليس كل أحد يهبه الله نور اليقين ويزيل حجاب الريون عن عين بصيرته، فينتظم في سلك أهل الفراسة الشرعية. فلما لم يتمكن هذا لكل أحد لكونها هبة من الله تعالى، فلا يفوز بها إلا الخواص من عباده. وكتابنا هذا موضوع للخاص والعام فيما يحتاج إليه، وهذا الباب من آكد ما يحتاج إليه

---

(١) أخرجه الترمذي في (السنن ٣١٢٧)، وأبو حنيفة في (المسند ١/ ١٨٩)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٤/ ٩٤، ٦/ ١١٨)، والطبراني (في المعجم الكبير ٨/ ١٢١)، (بغوي ١٤/ ٣١) وابن كثير في (التفسير ١/ ٤٧٩، ٤/ ٤٦١)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٥٤٤، ٧/ ٢٥٩)، وابن حجر في (فتح الباري ١٢/ ٣٨٨)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٠٧٣٠) وابن حجر في (لسان الميزان ٥/ ١١٥٤)، وصاحب (ميزان الاعتدال ٨٠٩٨)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٢٤٣)، وابن عراق في (تنزيه الشريعة ٢/ ٣٠٥) والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٤٢)، والسيوطي في (الدر المنثور ٤/ ١٠٣)، والعقيلي في (الضعفاء ٤/ ١٢٩).

ويعول عليه، لأن الإنسان مضطر إلى [معاشرة الناس] ومخاللتهم. كل إنسان [في صنفه وفي عالمه؛ وإذا كان عنده هذا الاضطرار وليس عنده من الفراسة الشرعية ما] يميز به بين إخوانه، سقنا فصلاً كافياً من الفراسة الحكمية ليقف الإنسان عنده ويصرّفه في مهماته، ويشتغل بضروب الطاعات؛ عسى الله أن يفتح له باباً من عنده إلى نور اليقين وملاحظة الملكوت الأعلى.

فاعلم يا أخي، وفقنا الله وإياك، أن أحسن الهيئات وأعدل النشآت الذي ينبغي لك أن تتخذه سفيراً ولليلك سميراً ولملكك وزيراً، من ليس بالطويل ولا بالقصير، لين اللحم رطبه، بين الغلظة والدقة، أبيض مشوب بحمرة وصفرة، معتدل الشعر طويله، ليس بالسميط[1] ولا الجعد القطط[2]، في شعره حمرة ليس بذلك السواد، أسيل الوجه أعين، [مائلة عينه] إلى الغؤور[3] والسواد، معتدل عظيم الرأس، مائل الأكتاف، في عنقه استواء، معتدل اللبة[4]، ليس في وركه ولا صلبه لحم، خفي الصوت صافٍ ما غلظ منه وما رق مما يستحب غلظه أو رقته في اعتدال، طويل البنان] للرقة، بسيط الكف، قليل الكلام والضحك إلا عند الحاجة، ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء؛ في نظره فرح وسرور، قليل الطمع في المال؛ ليس يريد التحكم عليك ولا الرئاسة، ليس بعجلان ولا بطيء.

فهذا قالت الحكماء أعدل الخليقة وأحكمها، وفيها خلق [سيد البشر] سيدنا محمد ﷺ حتى صح له الكمال ظاهراً وباطناً. فإن قدرت أن لا تصحب إلا مثل هذا فافعل، [ولا تتبع] شهوتك [إذا لم ينوّر الله بصيرتك. فإن رزقت النور الإلٰهي] فأنت إذ ذاك سلطان العالمين [وصاحب الحقيقتين]، الوجود تحت قهرك ورئاستك وأمرك.

واعلم يا أخي أن الحكماء زعموا في مقالاتهم في الفراسة، ورأيت ذلك تجربة، أن أعدل الخلق ما تقدم وصفه. ومما ذكروا في مقالاتهم أن البياض الصادق مع الزرقة والشقرة الكثيرة دليل على الحقد والخيانة والفسوق وخفة العقل. فإن كان مع ذلك واسع

---

(١) سمط الجدي والحمل: نتف عنه الصوف ونظفه من الشعر بالماء الحار ليشويه، والسمط: الداهي في أمره الخفيف في جسمه من الرجال وأكثر ما يوصف به الصياد. (اللسان ٧/ ٣٢٢ ـ ٣٢٤).

(٢) الجَعْد: من الشعر: خلاف السبط المسترسل الشعر القطط: الجعد القصير أو الشعر الشديد الجعودة (اللسان ٧/ ٣٨٠).

(٣) غارت عينه غؤوراً: دخلت في رأسه وانطفأت.

(٤) اللَّبة: موضع القلادة من العنق.

الجبهة ضيق الذقن أزعر[١] أوجن[٢]، كثير الشعر على الرأس، فقالت الحكماء [إن التحفظ] ممن هذه صفته كالتحفظ من الأفاعي القتالة.

الشعر:

واعلم أن الحكماء قالوا إن الشعر الخشن يدل على الشجاعة وصحة الدماغ؛ والشعر اللين يدل على الجبن وبرد الدماغ وقلة الفطنة. وكثرة الشعر على الكتفين والعنق والرقبة يدل على الحمق والجرأة، وكثرة الشعر على الصدر والبطن يدل على وحشة الطبع وقلة الفهم وحب الجور؛ والشقرة دليل على الحمق وكثرة الغضب وسرعته والتسلط. والأسود من الشعر يدل على العقل والأناة وحب العدل؛ والمتوسط من هذين يدل على الاعتدال.

الجبهة:

قالت الحكماء: الجبهة المنبسطة التي لا غصون فيها تدل على الخصومة والشغب والرقاعة والصلف[٣]؛ ومن كانت جبهته متوسطة في النتوء[٤] والسعة وكانت فيها غصون فهو صادق محب فهم عالم يقظان مدبر حاذق.

الأذنان:

ومن كان عظيم الأذنين فهو جاهل إلا أنه يكون حافظاً؛ ومن كان صغير الأذنين فهو أحمق سارق.

الحاجب:

والحاجب الكثير الشعر يدل على العي وغث[٥] الكلام، فإن امتد الحاجب إلى الصدغ[٦] فصاحبه تياه صلف، ومن رق حاجبه فاعتدل في الطول والقصر وكان أسود فهو يقظان فهم.

---

(١) زعر الشعر أو الريش أو الوبر: قلّ وتفرق حتى ظهر الجلد وصاحبه أزعر، وهي زعراء.

(٢) الأوجن: العظيم الوجنتين.

(٣) الرَّقاعة: الحماقة وضعف العقل. أو قلة الحياء والصفاقة. الصَّلَف: التيه والكبرياء أو قلة الخير.

(٤) النتوء: البروز.

(٥) العِيُّ: العجز عن التعبير اللفظي بما يفيد المعنى المقصود. الغث من الكلام: الرديء الفاسد.

(٦) الصدغ: القسم الجانبي من الرأس بين العين والجبهة والأذن والخد. وهما صدغان.

العين:

أردأ العيون الزرق، وأردأ الزرق الفيروزجية[1]. فمن عظمت عيناه وجحظت فهو حسود وقح كسلان غير ميمون؛ وإن كانت زرقاء كان أشد وقد يكون غاشاً. ومن كانت عيناه متوسطة [مائلة إلى] الغؤور والكحلة والسواد، فهو يقظان فهو ثقة محب. فإن أخذت في طول البدن فصاحبها خبيث. ومن كانت عينه جامدة قليلة الحركة [كالبهيمة ميت النظر، فهو جاهل غليظ الطبع؛ ومن كانت في عينه حركة] بسرعة وحدة نظر فهو محتال لص غادر؛ ومن كانت عينه حمراء فهو شجاع مقدام؛ فإن كان حواليها نقط صفر فصاحبها أشر الناس وأردأهم.

الأنف:

إذا كان الأنف دقيقاً فصاحبه نزق[2]، ومن كان أنفه يكاد يدخل في فمه فهو شجاع، ومن كان أفطس[3] فهو شبق[4]، ومن كان ثقب أنفه شديد الانتفاخ فهو غضوب. وإذا كان غليظ الوسط مائلاً إلى الفطوسة [فهو كذوب مهذار[5]. وأعدل الأنوف ما طال غير طويل فاحش]. ومن كان أنفه متوسط الغلظ وقناه غير فاحش فهو [دليل على] العقل والفهم.

الفـم:

من كان واسع الفم فهو شجاع، ومن كان غليظ الشفتين فهو أحمق، ومن كان متوسط الشفتين في الغلظ مع حمرة صادقة فهو معتدل، ومن كانت أسنانه ملتوية أو ناتية فهو خدّاع متحيل غير مأمون. ومن كانت أسنانه منبسطة خفافاً بينهما فلج فهو عاقل ثقة مأمون مدبر. ومن كان لحم الوجه منه منتفخ [الشدقين[6] فهو جاهل غليظ الطبع، ومن كان نحيف الوجه أصفر فهو رديء خبيث خداع شكس[7]. ومن طال وجهه فهو وقح؛ من

---

(١) الفيروزجية: نسبة إلى الفيروزج: حجر كريم غير شفاف، أزرق اللون بلون السماء أو أميل إلى الخضرة يُتحلى به (مع).

(٢) النَّزق: خفة في كل أمر، وعجلة في جهل وحمق.

(٣) فطس: انخفضت قصبة أنفه وانتشرت، فهو أفطس وهي فطساء (ج) فُطْسٌ.

(٤) شبق: الشَّبق: شدة الغُلْمة وطلب النكاح.

(٥) المِهذار: من يُكثر في كلامه من الخطأ والباطل (ج) مهاذير.

(٦) الشدق: جانب الفم من باطن الخد.

(٧) الشكس: العسر والسيء الخلق.

كانت أصداغه منتفخة] وأوداجه[1] ممتلئة فهو غضوب؛ ومن نَظَرته فاحمرَّ وخجل وربما دمعت عيناه أو تبسم تبسماً لا يريده فهو لك متودد محب فيك؛ ولك في نفسه مهابة.

الصـوت:

الصوت الجهير يدل على الشجاعة، والمعتدل بين الكد والتأني والغلظ والرقة يدل على العقل والتدبير والصدق؛ سرعة الكلام ورقته تدل على القحة والكذب والحيل؛ الغلظ في الصوت دليل على الغضب وسوء الخلق؛ الغنة[2] في الصوت دالة على الحمق وقلة الفطنة وكبر النفس.

[التحرك الكثير] دليل على الصلف والهذر والخداع؛ الوقار في الجلسة وتدارك اللفظ وتحريك اليد في فصول الكلام دليل على تمام العقل والتدبير وصحة النقل.

العنـق:

قصر العنق دليل على الخبث والمكر، طول العنق ودقته دليل على الحمق [والجبن والصياح، فإن انضاف إليهما صغر الرأس فإنه يدل على الحمق] والسخف؛ غلظ العنق يدل على الجهل وكثرة الأكل؛ اعتدال العنق في الطول والغلظ دليل على العقل والتدبير وخلوص المودة [والثقة والصدق].

البطـن:

البطن الكبير يدل على الحمق والجهل والجبن؛ لطافة البطن وضيق الصدر [تدلان على جودة العقل وحسن الرأي.

عرض الكتفين والظهر] يدلان على الشجاعة وخفة العقل؛ انحناء الظهر دليل على الشكاسة والنزاقة؛ استواء الظهر علامة محمودة؛ بروز الكتفين دليل على سوء النية وقبح المذهب. إذا طالت الذراعان حتى تبلغ الكف الركبة دل على شجاعة وكرم ونبل النفس، وإذا قصرت فصاحبها جبان محب للشر.

الكف الطويلة مع الأصابع الطوال تدل على النفوذ في الصناعة وإحكام الأعمال وتدبير الرئاسة.

---

(١) الودج: عرق في العنق ينتفخ عند الغضب وهو عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة. وهما ودجان (ج) أوداج.

(٢) الغنة: صوت يخرج من الخيشوم.

القـدم:

اللحم الغليظ في القدم يدل على الجهل وحب الجور؛ القدم الصغير اللين يدل على الفجور؛ دقة العقب تدل [على الجبن وغلظته تدل على] الشجاعة.

الساق:

غلظ الساقين مع العرقوبين[1] دليل على البله والقحة؛ من كانت خطاه واسعة بطئة فهو منجح في جميع أعماله منكر في جميع عواقبه، والضد للضد.

فهذا وفقك الله فصل مختصر في الفراسة الحكمية على ما وضعته الحكماء، فتحققه ترشد في معرفة الناس إن شاء الله تعالى وحده.

قال المؤلف [رضي الله عنه]: ولنعمد في هذا الفصل الذي ذكرته الحكماء إلى النشأة المعتدلة المذكورة في أول هذا الباب، ولنُمْشِ عليها النشأة الإنسانية الروحانية حرفاً حرفاً فأقول:

اعلم، لما كان للروح الإنساني [وجه إلى النور المحض ووجه إلى الظلمة المحضة وهي الطبيعة]، كانت ذاته متوسطة بين النور والظلمة. وسبب ذلك أنه خلق مدبراً لنشأة طبيعية عنصرية كالنفس الكلية التي بين الهوى والعقل. فالهوى ظلمة محض والعقل نور محض، والنفس بينهما كالسدفة[2]. فمتى لم يغلب على اللطيفة الإنسانية أحد الوصفين كان معتدلاً يؤتي كل ذي حق حقه؛ ومتى ما غلب عليه النور المحض أو الظلمة المحضة كان لما غلب عليه كما ذكر في النشأة الجسمية من الطول المفرط [أو (القصر المفرط) والبياض المفرط والسواد المفرط]، وكل ضدين على الطرفين في أحد الطرفين.

فأقول: أما البياض المفرط فاستفراغه للنظر في عالم النور بحيث لا يبقى فيه ما يدبر به عالم طبيعته، فيفسد سريعاً قبل حصول الكمال فكان مذموماً.

وكذلك في الجانب الآخر وهو السواد المفرط، بحيث يمنعه النظر في طبيعته عن عالم النور فذلك أيضاً مذموم. فإذا كان وقتاً ووقتاً كما قال عم: «لي [مع الله] وقت لا يسعني فيه غير ربي»[3]؛ وكان له وقت مع أصحابه ووقت مع أهله؛ وكذلك الطول

---

(١) العرقوب: وتر غليظ فوق عقب الإنسان (ج) عراقيب.

(٢) السّدفة: الظلمة (ج) سدف.

(٣) أخرجه علي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٩٩).

والقصر مدة إقامته في النظر في أحد الجانبين، فينبغي أن تكون المدة بقدر الحاجة.

وأما اعتدال اللحم في الرطوبة بين الغلظ والدقة فهو اعتداله في البرزخيات بين المعنى والحس، كاللحم [بين الجلد والعظم. وأما اعتدال الشعر فكونه] بين القبض والبسط[١].

وأما كونه أسيل الوجه فهي الطلاقة والبشاشة؛ وأما كونه أعين فصحة النظر في الأمور؛ وأما كون عينه مائلة إلى الغؤور والسواد فاستخراج الأمور الخفية والعلوم الغيبية. وأما كونه معتدل عظم الرأس فتوفير العقل.

وأما كونه مائل الأكتاف فاحتمال الأذى من غير أثر؛ وأما كونه مستوي العنق فالاستشراف على الأشياء من غير ميل إليها. وأما كونه معتدل اللبة التي هي مجرى النفس لاستقامة الأصوات فاستقامة الكلام في الخطاب بما يليق بالمخاطب. وأما كونه ليس في وركه ولا صلبه لحم فنظراً إلى الأمور التي يلجأ إليها ويتورك عليها أن يكون تخلصه لأحد الطرفين. فإنه إن كانت برزخية فقد تغرر به في غالب الأمر.

وأما كونه خفي الصوت فهو حفظ السر؛ وأما صفاء الصوت فهو أن لا يزيد فيه شيئاً؛ وأما طول البنان[٢] فلطافة التناول؛ وأما بسط الكف فرمي الدنيا من غير تعلق؛ وأما قلّة الكلام والضحك فنظره إلى مواضع الحكمة فيتكلم ويضحك بحسب الحاجة؛ وأما كون ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء فهو أن يغلب عليه الجنوح إلى العالم العلوي.

وأما كونه في نظره فرح وسرور فهو استجلاب نفوس الغير عليه بالمحبة؛ وأما كونه قليل الطمع في المال فهو البعد عن الغائلة؛ وأما كونه ليس يريد التحكم عليك [ولا الرئاسة] فهو شغله بكمال نفسه لا بك؛ وأما كونه ليس بعجلان ولا بطيء أي ليس بسريع الأخذ مع القدرة ولا عاجز.

فهذا قد ذكرنا اعتدال النشأة اللطيفة [الإنسانية حرفاً بحرف على النشأة المعتدلة] الطينية التي ذكرناها عن الحكماء آنفاً، ثم نأخذ بتفصيل الأعضاء على هذا المثال بقدر ما يوقف للنظر السديد في ذلك، ولم نودعه هنا لئلا يطول الكتاب، فلنرجع إلى الفراسة الشرعية فأقول:

---

(١) انظر حديث القشيري عن القبض والبسط في رسالته ص ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) البَنان: الأصابع، وأطرافها، واحدتها بنانة.

الفراسة الشرعية: اعلم رحمك الله ونوّر بصيرتك أن عالم الملكوت هو [المحرك لعالم] الشهادة، وهو تحت قهره وتسخيره حكمة من الله تعالى لا لنفسه استحق ذلك؛ فعالم الشهادة لا تصدر منه حركة ولا سكون ولا أكل ولا شرب ولا كلام ولا صمت إلا عن عالم الغيب. وذلك أن الحيوان لا يتحرك إلا عن قصد وإرادة وهما من عمل القلب وهو من عالم الغيب والحركة وما شاكلها من عالم الشهادة.

وعالم الشهادة عندنا ما أدركناه بالحس عادة، وعالم الغيب ما أدركناه بالخبر الشرعي أو النظر الفكري فيما لا يظهر للحس عادة فنقول: إن عالم الغيب يدرك بعين البصيرة كما أن عالم الشهادة يدرك بعين البصر. وكما أن البصر لا يدرك عالم الشهادة ما لم يرتفع عنه حجاب الظلم أو ما أشبهه من الموانع؛ فإذا ارتفعت الموانع وانبسطت الأنوار على المحسوسات أدرك البصر المبصرات. فإدراكها مقرون بنور البصر ونور الشمس أو السراج وأشباهها من الأنوار.

كذلك عين البصيرة حجابها الريون والشهوات وملاحظات الأغيار، إلى مثل هذه من الحجب، فتحول بينها وبين إدراك الملكوت أعني عالم الغيب. فإذا عمد الإنسان إلى مرآة قلبه وجلاها بأنواع الرياضات والمجاهدات حتى أزال عنها كل حجاب واجتمع نورها مع النور الذي ينبسط على عالم الغيب، وهو النور الذي يتراءى به أهل الملكوت، وهو بمنزلة الشمس في المحسوس، اجتمع عند ذلك نور عين البصيرة مع نور التمييز، فكشف المغيبات على ما هي عليه. غير أن بينهما لطيفة معنى، وذلك أن الحس يحجبه الجدار والبعد المفرط والقرب المفرط والأجسام الكثيفة الحائلة بينه وبين من يريد إدراكه وهذا لقصور عادة.

وقد تنخرق لنبي أو ولي كقول النبي ﷺ: «إني أراكم من وراء ظهري»(١)؛ وفي الأولياء ابتداء المكاشفات لهم في أول سلوكهم، فإن المريد أول ما يكشف له عن المحسوسات فيرى رجلاً مقبلاً، أو على حالة ما وبينهما البعد المفرط والأجسام الكثيفة بحيث أن يراه بمكة أو يرى الكعبة وهو بأقصى المغرب، وهذا كثير عن المريدين في أول أحوالهم. ذقت ذلك كله وعرفته ولله الحمد.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ١٠٣، ١٢٥، ٢٢٩)، وابن كثير في (التفسير ٦/ ١٨٢)، وابن حجر في فتح الباري ٢/ ٢٠٨ ـ ٢١١)، والسيوطي في (الدر المنثور ٥/ ٢٩٣، ٢٩٤)، وابن عبد البر في (التمهيد ٩/ ١٨٨)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١/ ٣٥١)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٣/ ٣٦٥)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ١٨٢).

ثم ينتقلون عن ذلك إن كانوا من أهل العناية والاختصاص بالوراثة النبوية؛ وإن بقي عليهم ذلك، أعني خرق العادة على الدوام، فهم المعبر عنهم بالبدلاء. وإن تخللهم ذلك في وقت دون وقت فهو إما وارث وإما عابد صاحب الفترات.

وأما عالم البصيرة فلا، إذ عالم الغيب ليس بينه وبين عين البصيرة مسافة ولا بعد ولا قرب مفرط، وحجابه إنما هو الران[1] والقفل والكن[2]، وقد ارتفعت بالمجاهدات فلاحت أعلام الغيوب. لكن ثم أمر سنذكره وهو إن انجلت عين البصيرة كما ذكرناه فإن ثم حجاباً آخر إلٰهياً وهو أن النور الذي ينبسط من حضرة الجود على المغيبات في الحضرات الوجودية ليس يعمها إلا على قدر ما يريد الله تعالى أن يكشف لك منها مع أنك في غاية الصفاء والجلاء، وذلك هو مقام الوحي. دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له، ولغيرنا قوله تعالى قل: **﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يُوحى إليّ﴾** [الأحقاف: ٩] مع غاية الصفاء النبوي.

[فكيف بالولي الذي ما فتح له من الطريق خرت[3] إبرة؟ فهذا هو الحجاب الإلٰهي، وهو في الكتاب العزيز: **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب﴾** [الشورى: ٥١]، (أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء). فقوله: إن أتبع إلا ما يوحى إليّ هو قدر ما يكشف له] من عالم الغيب فيرى تأثيره في عالم الشهادة، فيتكلم به على ذلك الحد، فيقول: يكون كذا ولا يكون كذا، وعاقبة أمر ما إلى كذا؛ على قدر الكشف. وهذا الحجاب الإلٰهي لا يمكن رفعه عقلاً ولو بلغ المرء على الغايات، بدليل أن هذا [الحجاب إنما هو العلم الأزلي المتعلق بمعلومات غير متناهية وكل ما حصره الوجود فهو متناهٍ؛ ولا تكشف عين البصيرة إلا ما دخل في الوجود بوجه ما من أوجه مراتب الوجود، فلا حجة لك في قوله تعالى: **﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾** [يس: ١٢]. قال الله تعالى: **﴿ما نفدت كلمات الله﴾** [لقمان: ٢٧]، وقال: **﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾** [الكهف: ١٠٩] وذلك لعدم التناهي.

فإذا تقرر لنا هذا وصح لنا حد الكشف عن عالم الغيب فمهما ظهر مما حصل في

---

(١) الرّان: الغطاء والحجاب الكثيف. أو ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب، أو هو الدنس.
(٢) كنّ الشيء كنّاً: ستره وصانه وأخفاه.
(٣) الخرت: الثقب في الأذن والإبرة وغيرهما (ج) أخرات.

هذا المقام شيء من ذلك على ظاهره في حق شخص ما؛ فتلك الفراسة وهي أعلى درجات المكاشفة، وحظها من الكتاب المبين ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [الحجر: ٧٥]؛ وذلك أن لها علامات في الحس بينها وبين [عالم الغيب ارتباط، وهذا علم موقوف على الذوق] خلاف الفراسة الحكمية فإنها موقوفة على التجربة والعادة وقد لا تصدق؛ وهذا لا سبيل عند أهل هذا الشأن إلى تكذيبه فإنه نور الله تعالى فلا يعطي إلا الحقائق.

فهكذا تكون الفراسة الشرعية وسبب حصولها ما ذكرناه؛ وقد جعل الله لعالم علمها علامات في ظاهر الموجودات كما جاء الأثر عن عثمان[١] رضه حين أخذ على الرجل في نظره إلى ما لا يحل له، فقال له [الرجل: أوحي بعد رسول الله ﷺ (قال: لا] ولكن قال رسول الله ﷺ]: «اتقوا فراسة المؤمن» [فإنه ينظر بنور الله»، رأيت ذلك في عينيك، وتلك العلامات إنما هي حجب نصبها الله تعالى لأعين الغير لتأنيس القلوب الضعيفة واستمالتها حتى تطمئن، ولو قال غير النبي إنما رأيت ذلك لما انبسط نور اليقين على الكتاب الحفيظ فنظرت فعلك فيه، فقضيت عليك محبة الأذان لقبضت عنه النفوس مع صدقه في ذلك؛ فلما علقت بعلامات ظاهرة سكن القلب والخاطر الضعيف إلى ذلك مع قوة دليل الشرع قوله: «اتقوا فراسة المؤمن»] فاجتمع من ذلك بعض إيمان، ومع ذلك قد يتهم ويقال لعله كاهن أو صاحب رأي فالعلل كثيرة.

تنبيه:

بقي لنا من الباب شيء في الغرض الذي قصدناه، وهو تصحيح النسختين بالمقابلة في الفراستين الشرعية والحكمية؛ وذلك أن للقائل أن يقول: إذ ولا بد عندكم من المقابلة فأين حظ الأشقر والأزرق والعظيم الأنف والمعتدل الكحولة من هذه الفراسة الشرعية والحكمية.

---

(١) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية (٤٧ ق هـ ـ ٣٥ هـ = ٥٧٧ ـ ٦٥٦ م) من قريش. أمير المؤمنين، ذو النورين: ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل، افتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرس، وأتم جمع القرآن، وهو أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرسول، وقدم الخطبة في العيد على الصلاة، وأمر بالأذان الأول يوم الجمعة، واتخذ الشرطة، واتخذ داراً للقضاء بين الناس نقم عليه الناس اختصاصه أقاربه من بني أمية بالولايات والأعمال فقتلوه صبحية عيد الأضحى بالمدينة الأعلام ٤/ ٢١٠، وغاية ١/ ٥٠٧، والبدء والتاريخ ٥/ ٧٩، و١٩٤ ـ ٢٠٨، وحلية ١/ ٥٥، والطبري ٥/ ١٤٥، وصفة الصفوة ١/ ١١٢.

فنقول له سألت سؤال عارف، ونحن إن شاء الله نخلّصه لك ونلخّصه بأيسر شيء، وهو نظرنا إلى الفراسة الحكمية فرأينا أربابها والقائلين بها، والقاطعين بحكمها راجعين إلى طرفين وواسطة، وقسموا الأشياء إلى محمود ومذموم، فجعلوا الخير كله والمحمود في الوسط، وجعلوا الذم والشر في الطرفين؛ فقالوا في الأبيض [الشديد البياض] والأشقر والأزرق ما سمعت من الذم وأنه غير محمود؛ وكذلك الأكحل الشديد السواد والدقيق الأنف جدًّا مذموم؛ كل هذا والمعتدل بينهما الغير مائل إلى أحد الطرفين ميلاً كليًا هو المحمود على حسب ما تقدم في الفراسة الحكمية.

فلما رأيناهم قد حصروا هذه الأشياء وحصروها على هذا القدر، نظرنا ذلك في هذا العالم أين ظهر الحسن والقبح، فقلنا: لا حسن ولا قبح إلا شرعاً. على هذا قام لنا الدليل. فلما رأينا أن الحمد والذم على الفعل من جهة ما شرعاً، نظرنا كيف نجمع طرفين وواسطة لنجعل الطرفين مذموماً ولنجعل الوسط محموداً الذي هو محل اعتدال.

فنقول: الإنسان لا يخلو [أن يكون واحداً من ثلاثة بالنظر إلى الشرع: وهو] إما أن يكون باطنياً محضاً وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالاً وفعلاً، وهذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرائع وقلب أعيانها؛ وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة من قواعد الدين فهو مذموم بإطلاق؛ عصمنا الله وإياكم من ذلك.

وإما أن يكون ظاهرياً محضاً متغلغلاً بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم والتشبيه فهذا مثل ذلك ملحوق بالذم شرعاً.

وإما أن يكون جارياً مع الشريعة على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدماً بقدم، وهذا هو الوسط؛ وبهذا تصح محبة الله له. قال تعالى: ﴿**فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ [آل عمران: ٣١]؛ فباتباع الشارع واقتفاء أثره صحت محبة الله للعبد وغفرت الذنوب، وحصلت السعادة الدائمة.

فهذا أعزك الله وجه مقابلة النسختين؛ فإن قال قائل سلمنا هذا التقابل وهو صحيح، فكيف نميزه من الإنسان على التعيين، وأنا رأيت رجلاً ساكتاً يشهد الصلوات والجماعات، وهو مع ذلك منافق مصر؟ قلنا: قد تقدم مكان هذا في هذا الباب، ولكن لا بد أن نجيبك على ما سألت؛ وذلك أن السكوت وشهود الصلوات وأشباههما من عالم الشهادة، وكونه كافراً بها في سره، فهو من عالم الغيب؛ ونحن إذا تحصل لنا الفراسة

الشرعية حكمنا بكونه كافراً في نفوسنا، وأبقينا ماله ودمه معصوماً شرعاً لظهور كلمة التوحيد[1]. فمعاملتنا له على هذا النسق وما كلفنا غير هذا.

وهذا وفقك الله تلخيص الفراسة الشرعية والحكمية قد أوضحتها لك غاية الإيضاح والتبيين؛ والله سبحانه يوفق سيدنا للعمل بأسباب حصولها في نفسه، ويحابيه بالوقوف عليها إنه القادر على ذلك [والملي به].

الباب التاسع
في معرفة الكاتب وصفاته وكتبه

عليك بكاتب لبق[1] رشيق ذكي في شمائله حرارة
تناجيه بطرفك من بعيد فيفهم رجع لحظك بالإشارة

الكاتب وفق الله به الإمام، وسلك به من حيث لا خلف ولا أمام، موجود لطيف كريم شريف، اتفق عالم الغيب على شرفه واعتلائه؛ نجيّ إدريس النبي عمَ. وهو أول من خط بالقلم، وهو صاحب جلاء القلب وغطائه، وبيده زمام منع الخير وعطائه؛ يجول بين سناه الباهر وسنائه؛ ويتردد بين شعاعه وضيائه؛ ومنفذ الأوامر على القرب والبعد. عالم بسر من له الأمر من قبل ومن بعد؛ يغني ويفقر ويشح؛ ويؤثر سجله ذات النفس الكلية وهي حرة الإمام الزكية، الموصوفة بالمطمئنة الراضية المرضية؛ كتب في رقها المنشور العلوم البرزخية. فعندما ظهرت آثاره على صفحات قراطيس[2] الأجسام عبَّر عن ذلك بنفوذ أمر الإمام.

ونحن إن شاء الله نذكر في هذا الباب صفة الكاتب والكتاب في فصلين؛ والله المؤيد لا رب غيره.

فصل في الكاتب:

اعلم وفقك الله أن الله تعالى جعل في المملكة الكبرى لوحاً محفوظاً وقلماً معلوماً علياً بيمين مقدسة عن التأليف والتغيير؛ فنفذ أمر الإرادة بالعلم من الحق إلى اليمين بتحريك القلم على سطح اللوح المحفوظ بعلم ما كان [وما هو كائن] وما يكون [وما لا يكون]. ولما أثبتنا هذا الكتاب على مقابلة النسختين ومقابلتهما على النشأتين أردنا أن نعرّف أين الكاتب منا؛ شعر:

قلمي ولوحي في الوجود يمده قلم الإلٰه ولوحه المحفوظ

---

(١) اللّبق: اللين الأخلاق اللطيف الظريف، ورجل لبق: حاذق رفيق بكل عمل.

(٢) قراطيس: (ج) القرطاس: الصحيفة التي يُكتب فيها.

ويــدي يميــن الله فــي ملكــوتــه ما شئت أجري والرسوم حظوظ

فالكاتب صفة لطيفة علمية تسمى اليمين، [لها عين]، ومادتها من عليين وهو مقام الأبرار صاحب الشراب الممزوج. فإذا أراد الإمام أن يظهر أمراً من الملكوت في عالم الشهادة تجلى للقلب فانشرح الصدر؛ وذلك عبارة عن كشف الغطاء، فارتقم فيه مراد الإمام. وذلك القلب هو مرآة العقل فرأى العقل في مرآته ما لم يكن رآه قبل ذلك فعرف أنه مراد الإمام فاستدعى الكاتب فأطلعه على المراد، وقال له اكتب في ذات النفس [كذا وكذا. فإذا حصل في النفس] خرج على الجوارح، فلهذا [قلنا فيه إن شرابه ممزوج لأنه امتزج بعين المقربين وهو العقل. فلهذا] حصل له الشرف الكامل في حقه.

فإن قيل ما مقام هذا الكاتب العرش أو الكرسي أو بينهما، وقد علمنا على ما قررنا في مواضعها أن الكرسي هو محل الفرقان، وهو النفس. قال الله تعالى: ﴿**ونفس وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها**﴾ [الشمس: ٧ و٨]، فهذا فرقان والكاتب مرتبته أن يكتب في مذموم ومحمود على اختلاف الأحوال وليس مقامه بحسب كتابته؛ فخبرني كيف يتفق هذا؟

قلنا: قولك صحيح؛ فاعلم أنه ليس من العرش إلى الكرسي مدح ولا ذم سوى علوم مقدسة وتنزلات منزهة عن الاتصاف بالفرقان، والعرش مقام الإمام، والكرسي مقام النفس؛ وهي محل التغيير والتطهير حالاً ومقاماً. فإذا نفذ الأمر إلى الكاتب فإنه ينفذ واحداً مقدساً لا يتصف بذم ولا حمد.

والكاتب إنما يكتب من الخزانة المحمدية وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم؛ فيؤخذ ذلك الأمر من الخزانة المحمدية على ما وضع لمتعلق؛ فإن كان حمداً فهو ذلك؛ فيحصل عند ذلك للكاتب علماً وعيناً لا حالاً ولا مقاماً لأنه فوق ما يكتب؛ فما يصدر عنه إلا حسن، فهو بذاته مع الإرادة، وتصرفه في شغله الذي هو الكتابة [من الخزانة] المحمدية.

فالذي حصّل الأمر ورده أمرين إنما هو الرسول بذلك الأمر والمخاطب؛ فالكتابة من ظاهره والكاتب من باطنه. فحقيقة الرسول هي الممدة لحال الكاتب في حاله ومقامه؛ [وحاله أو حقه هو] الممد له في رقومه وأفعاله، فهو فوق من حيث هو مشرف، وهو واحد من حيث ذاته. وهذا كله ليس لنفسه لأنه لو أراد الله تعالى أن يبدله بالتقديس تعييراً وبعليين سجيناً لما منعه من ذلك مانع، لكن هنا سر نسوقه في معرض السؤال لترتفع الهمة إلى طلبه، وهو أن نقول:

أمن الحال أن يوجد هذا الكاتب في سجين[1] حتى نقول إن بعض أبي جهل[2] وغيره من الفراعنة[3] في عليين؟ أعني كاتبه، وحقيقته وبعضه في سجين؟

أو تكون المشيئة في حق المعتنى به تقدس كاتبه وحقيقته، وغير المعتنى في سجين؟ وإن كان محالاً ارتفاعه عقلاً [فقد شرح] شقي الشقي بكليته؛ فانظروا في كشف هذا السر المستور وفتح هذا الباب المقفل من أنفسكم لا من غيركم.

قلنا: فهذا الكاتب موجود شريف اصطنعه الخليفة لنفسه واتخذه سميراً لأنسه؛ فمما يجب عليه أن يكون حسن الخلق صبوراً حمولاً للأذى، كاتماً للأسرار الملكوتية، فصيحاً بليغاً يستدرج المعاني الكثيرة في عبارات وجيزة تنبىء عنها صريحاً، لا يسوق [نصاً في كتابه] إلا في مقام يأمن عقابه. فإن لم يأمن فليسق من ألفاظ في كتابه ما يحتمل معنيين فصاعداً. حتى لو ظهر على الإمام في بعض كتبه شيء يعطيه أحد محتملات اللفظ، وكره الإمام ذلك، عدَل الإمام إلى الاحتمال الثاني الذي يحتمله ذلك اللفظ، والله كثير العفو والتجاوز.

فإنه إذا دخله الاحتمال سقط كونه دليلاً على شيء معين، وهذا من مهارة الكاتب وثقافته؛ وأن يجمع بين اعتدال حروفه ومعانيه، ولا يستعمل في كتابه إلا الألفاظ الصقيلة العبارة الخطابية التي لها وقع في النفس وتعلق بالقلب؛ وأن يبدأ في سجلاته بالحمد والثناء والصلاة، ثم يأخذ في عدل الإمام وأوصافه الحسنة الشريفة ومقامه المنيف؛ ويرغب فيه، ثم بعد ذلك يذكر ما أمر به.

فإن كان خيراً فهو المرغوب فيه؛ وإن كان غير ذلك فقد قيل [لأبي يزيد] أيعصى العارف؟ وقال: ﴿**وكان أمر الله قدراً مقدوراً**﴾ [الأحزاب: ٣٨].

واعلم يا أخي أن الكاتب إذا كان على ما ذكرناه فهو قرع باب الصديقين ومن ثم يحصل له ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله.

---

(١) السِّجِّين: موضع فيه كتاب الفجّار، أو هو وادٍ في جهنم.

(٢) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي. انظر ترجمته في عيون الأخبار ١/ ٢٣٠، والسيرة الحلبية ٢/ ٣٣، ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٢٢، وإمتاع الأسماع ١/ ١٨، وابن الأثير ١/ ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٣٨، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٤٧، وسيرة ابن هشام طبعة الحلبي. انظر فهارسها.

(٣) الفراعنة: (ج) فرعون: لقب كل من مَلَكَ مصر في التاريخ القديم، ولقب كل عاتٍ جبار.

فصل في الكتاب:

ولما كانت اليمين الكاتبة افتقرنا إلى قلم ودواة[1] واستمداد ولوح يقع فيه الخط كالحق واليمين والنون والعلم الأعلى واللوح المحفوظ، وما هو مثل التخليط في الحال وارتقام الأمثلة في اللوح؛ ومثل ما يكون إيجاد العوالم الصادرة عن الأمثلة المرقومة في اللوح. [فافهم اللوح] المحفوظ هنا، ولوح المحو والإثبات وانظر كيف أثبتناه حاوياً [لما لا يتناهى في رقمه وكل ما دخل في الوجود متناهٍ، فابحث كيف لا يتناهى] وما هو في العالم الأصغر كالقطب، ولعله السر المرقوم في الصدور وهو موضع يحتاج العارف إلى الالتجاء في معرفته.

فاللوح هو محل الكتابة فلنسمه الكتاب ونقول إنه ينقسم قسمين: كتاب مرقوم وكتاب مسطور. [قال الله تعالى: ﴿**والطور وكتاب مسطور**﴾ [الطور: ٢]، وقال: ﴿**كتاب مرقوم**﴾ [المطففين: ٩] فأقسم بالمسطور؛ وأخبر عن المرقوم أنه في محلين في سجّين أو في عليين.

فالمسطور في عالم الأرواح والمرقوم في عالم الغيب والشهادة. ومن جانب الحقائق أن المرقوم هو المسطور عينه من جانب الكشف الصحيح؛ لكن لما لم يعاين منه الملأ الأعلى[2] إلا الوجه الواحد الذي من قبلها وهو عالم الأمر كان مسطوراً. ولما كان الإنسان قد جمع العلو والسفل أشرف على الوجهين فكان له مرقوماً:

فما ولي الراقم فهو المسطور، وهو الموضع المشكل موضع انعقاد الخيوط وتداخل بعضها على بعض.

وما ولي الأرض من الكتاب كان مسطوراً أيضاً ومرقوماً باعتبار الوجه الذي يلي الراقم في حق من شاهدهما.

فهذا المسطور الأرضي هو علم الفقهاء أصحاب علوم الأحكام المحجوبة قلوبهم بحب الدنيا عن معاينة الملكوت. فالملائكة في المسطور من عالم الأمر العلوي، والفقهاء المحجوبون [في المسطور من] عالم الخلق السفلي؛ والمحققون في المرقوم بمشاهدة الوجهين:

---

(١) الدواة: المحبرة (ج) دوىً ودُوِيٌّ.

(٢) الملأ الأعلى: الملائكة المقربون أو عامة الملائكة.

فما ولي الأرض شاهدوه حساً وما ولي الراقم، وهو ما فوق العرش في حق سر المحقق وما فوق السماء في حق بعض العوالم، شاهدوه قلباً وعقلاً. حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق تجلى لهم فخاطبوه وخاطبهم فانحجبوا. فإذا خرقوا الحجاب وانعدمت في حقهم الأسباب نظروا إلى سر القدر كيف يحكم في الخلائق ولحظوا الأمر على مبدئه فإن شاؤوا صمتوا وإن شاؤوا نطقوا.

فمخاطبته إياهم كتابه في قلوبهم وهي الألواح المحفوظة المكتوب فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء وفيها يقرؤون وعنها يخبرون، وتلك الخواطر الربانية.

فيا أيها السيد تفطن لهذا الكاتب فإنه وإن كان لك منصب الإمامة فله منصب الخطابة لا تستقل بها دونه، فهو الإمام فيها لو حصلت معه فيها لخدمته؛ ولكن لإقامة الحق لك في الإمامة الإحاطية دخل هذا وغيره في حزبها فراع حرمته فهو صاحب طابعك والمخاطب عنك. فتحبب إليه وإلا أفسد عليك ملكك فإن الوزير مفتقر إليه، وغايتك وغاية وزيرك تدبير حضرة مملكتك؛ وكتبه تمشي في باديتك بما يريده لا بما تريده أنت إن شاء ذلك.

واعلم أن الحضرة لا معنى لها إلا ببايتها، فإن فسدت البادية وثارت عليك أدى ذلك إلى فساد ملكك، وأنّى لك تلافيه فهو الأمين على الفجور وملكك يقبل الصفتين معاً، وقد نصحتك فالزم.

توقيع رباني:

نفذ الأمر المطاع الإلٰهي إلى الخليفة الإنساني المثبوت فيه سر ألوهيتي بالتردد بين إنيتي وهويتي، وقد أبحت وجهي لمن أراده بلا إرادة، ومزقت الحجب تمزيقاً لا يقبل ترقيعاً ولا تلفيقاً؛ وفرغت عن القلوب فتزينت بعالم الغيوب. فاعكف في حضرتي ساجداً فإنك لا تزال مشاهداً هذا، فإن الرؤية في السجود والحجاب في الوقوف؛ فإني القيوم القائم على كل نفس بما كسبت، فافهم ما سطرته وانظر فيما رسمته فإنه لا خطاب في الرؤية ولا رؤية في الخطاب؛ والسلام عليك سلام من لم ينفصل عنك ولا اتصل بك، ورحمة الشهود وبركات الوجود.

توقيع ملكي:

نفذ الأمر الحتم إلى الملك الكريم، انزل على قلب الخليفة الإنساني فإنك تجده على أحد ثلاثة أحوال: إما معي، أو مع نفسه، أو مع عدوه إبليس.

فإن وجدته معي فلا تلقِ إليه شيئاً مما وقعت لك في هذا التوقيع، فإني أتولاه بنفسي، لا أكل من توجه إلي وآثرني على كل واحد إلى غيري، فإني أتولى سياسة قلب عبدي. فتأدب أيها الملك الكريم ولا تشعره بنزولك فيفرق ويبادر إليك لمعرفته أنك من عندي من جهة اسم ما؛ فتوارَ عنه واحفظه من نفسه وشيطانه، وجاهدهما ما استطعت.

وإن وجدته مع نفسه فأخطر له محادثة منك في سره من غير أن يشعر بذلك القرين العدو ولا النفس أن يأفل أنفاسك محسوبة عليك وأوقاتك عليك شهداء. فإياك والمباح فتندم، وإياك والمحظور والمكروه فتشقى.

[وإن وجدته مع إبليس عدوه فَحُلْ بينه وبينه، وأشرق عليه بنور ملكيتك بها تحرق ناريته، وإياك أن يخلص إلى].

وعليك بالحجة البيضاء وأداء ما افترض الله عليك، وإذا أردت فعل مباحٍ من المباحات من أكل وشرب ونوم وغير ذلك فلا تتناوله تناول العامة فتندم أو تشقى، ولكن تناوله بتنزيه وعبادة. فأما التنزيه [فأن تتناوله] برؤية نقصك وافتقارك إلى الحق فيه، وتنزيه الحق عن حاجته لذلك، كما قال تعالى: ﴿**وهو يطعم ولا يطعم**﴾ [الأنعام: ١٤]؛ فقد [نبهتك وعلمتك].

وأما العبادة فأن تنظر في ذلك من جهة ما يليق فتتخذه عوناً على عبادتك كالأكل للقوة على أداء الصلاة والفرائض من جهاد وغيره، والنوم للقدرة على قيام الليل والنكاح لا لإنزال الشهوة ولكن لولد صالح أو اعتصام عن مواقعة محرم؛ والفرصة للاعتبار وإماطة الأذى وإرشاد الضال وإغاثة الملهوف، وما أشبه ذلك؛ فهذه خواطر الملك بالتوقيع الإلٰهي.

توقيع نفساني:

نفذ الأمر الإلٰهي [الذي لا يرد] إلى نفس البرزخية؛ أخطري إلى الخليفة الإنساني أن يفعل ما فيه راحة في الدنيا ولا طلب عليه في الأخرى، ولا له فيه أجر عندنا، فإن أجابك فهو لك لا لي؛ وإن أعرض عنك فهو لي لا لك، أو لمن هو له على حسب وقته، وإنك ستجدينه على ثلاث: إما معي، أو مع الملك أو مع الشيطان.

فإن وجدته معي فتعرضي إليه، فإنه يصيّر فراغك شغلاً ويرفع حجابك وتسعدين به.

وإن وجدته مع الملك فتأدبي وقفي حتى ينفصل الملك بالنوم أو بالغفلة والسهو؛ وحينئذٍ تخطرين له ذلك.

وإن وجدته مع الشيطان فزاحميه وحولي بينهما وأتيه بالملايمة ولا يغلبنك عليه، وامضي في سلطانك وكيديه، فإن كيده ضعيف، واثبتي على ما جئته به ولا تتنوعي عليه فإنه سيعود إليك.

توقيع شيطاني:

نفذ الأمر الإلٰهي [إلى الشيطان] الإرادي لا الأمري، انزل على الخليفة الإنساني بتعدي الحدود وانتهاك المحارم والكفر والشرك والبغي والحسد والفحشاء وعبادة غيري؛ فإن توقف لك في أمر ما فاعدل عنه إلى أمر آخر، ولا بد لك أن تجده على إحدى ثلاث: إما معي، أو مع الملك، أو مع النفس.

فإن وجدته معي فانظر في أي باب هو وفي أي اسم، وأنزله من مملكتك التي ملكتك إياها من عالم الخيال من جنس الحقيقة التي هو معي فيها حتى ترى عصمتي لأوليائي وحفظي لهم وغيرتي عليهم كيف هو، فإذا نزل إلى أفعالي وصفاتي فألق له مما في توقيعك؛ فإن قبله فهو لك في ذلك الوقت ثم يتوب، فيجوز وزره عليك تعذب به في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، وإن أشرك فهو وعذابه عليه وعليك.

وإن وجدته مع الملك فحاربه، فإن غلبته بقيت أنا، فإن خذلت عبدي ملكتك ناحيته؛ وإن نصرته فأمران: إما أن لا يقبل منك، أو إن قبل قلب عينها، فعاد ما قضيته له بعداً قربة إلي وجاز كيدك عليك.

وإن وجدته مع النفس فزين لها العاجلة وابسط لها الأمل، فإن اشتغلت به فألقِ فإنه عبد مطيع لك في الحال، وأنا معه بين الخذلان والنصرة، أحكم بعلمي فيه وأنا العليم القدير.

فهذه أيها السيد الكريم توقيعات الحق في الوجود المعبر عنها بالخواطر، قد أوضحت لك مكانتها، وإن كاتبك من أعرف الناس بها؛ وهؤلاء الثلاثة تحت تسخيره، والحق تعالى يجيبه؛ فقد حاز العلم الإحاطي والمقام؛ فاعرف قدره ولا تنزل به عن درجته؛ فإن هذه التوقيعات بيده وأمرها لا يرد؛ وما أتى على الملوك قديماً إلا من مجالسها، ولا يغيّر حالها إلا من بسائطها. فتفقد بساطك الكريم وميز بين الولي والعدو منه بفعلك معه، والإحسان في الجملة مفيد مسدد يذهب بالضغائن[1]، ويزيل الحقد ويثمر المودة والغيرة والسلام.

---

(١) الضغائن: (ج) الضغينة: الحقد الشديد.

الباب العاشر
في المسددين والعاملين أصحاب الجبايات والخراج

اعلم أيها السيد الكريم حفظ الله عليك سلطانك أن الله تعالى قد رفع الموجودات بعضها فوق بعض، وجعلها رئيسة مرؤوسة ومالكة مملوكة؛ وأن الله تعالى يطلبك يوم القيامة بالعدل في رعيتك باديتها وحاضرتها؛ وأن الله سيسألهم عنك كما قال: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ وقال: ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**﴾ [النور: ٢٤] يعني بها؛ وقال: ﴿**حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون**﴾ [فصلت: ٢٠]، وقال يبين الحقائق: ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم**﴾ [فصلت: ٢٢] وأمثال هذا.

فالعين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل من عمالك وأمنائك من أهل باديتك، وكل واحد منهم رئيس وخازن على صنف من أصناف المال الذي يجبيه؛ ورئيسهم وإمامهم الحس الذي ترجع إليه هذه الحواس كلها بأعمالها إليه؛ وإن الحس برئاسته ومملكته مرؤوس تحت سلطان [الخيال، والخيال بما فيه من صحة وفساد مرؤوس تحت سلطان الذكر، والذكر مرؤوس تحت [سلطان] [الفكر، والفكر مرؤوس تحت] سلطان العقل والعقل وزيرك وأنت الرئيس الإمام المعبر عنه بالروح القدسي.

والذي ينبغي لك أيها الإمام الكريم، إذ لا تتمكن أن تباشر الأشياء بنفسك، أن تجعل الأمر متحداً فتنظر في أمير ثقة قوي الجأش[1] ينظر في استخراج هذه الجبايات من أيدي الرعية على طريق العدل والسياسة، فإنك لا بقاء لك دون بيت مال ولا غنى عنه البتة، وأنت مطالب [بجميعها تطلبك] الرعية بالرفق وحسن المعاشرة، ويطلبك من استخلفك بامتثال الأمر وتمشية العدل؛ فاحذر هذين المقامين ولا تولّ مسدداً ولا عاملاً إلا عارفاً يقدر ما له وعليه شحيحاً.

---

(١) الجأش: القلب والنفس (ج) جؤوش.

وليكن واحداً فإن الكثرة تؤدي إلى الفساد في الأمر الواحد، فإنك إن وليت أكثر من واحد طلب كل واحد منهم الجاه عندك والظهور على صاحبه، فيظهرون الاجتهاد، والرعية ضعيفة فربما حملوا عليها ما لا تحتمل فيكون ذلك سبباً إلى قطيعتهم وهلاكهم. فالذي يفسده بهذا النظر أكثر مما يصلحه، وقد قال ﷺ: «إن الخبيث لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»، وقال: «من يشاد هذا الدين يغلبه»، وقال [من استخلفك]: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط**﴾ [الإسراء: ٢٩].

فصُمْ وأفطر وقم ونم وقد اخترت لك مسدداً لن تعدم خيراً ما دام معك، وقد نظرت له في وزعة[١] يمشون معه، فابعثه على هذه الجبايات بوزعته فإنك تحمد سيرته وتشكر بصيرته ألا وهو العلم، ووزعته الثبات والاقتصاد والحزم والرفق، فإنه إذا اتصل إلى عمالتك مع وزعته أقام ميزان العدل وحسن السياسة فإنه نافذ البصيرة يعرف خبث الرعية ومكايدها فيأخذ ما يجب له ويكلف على قدر المصلحة والوسع ولا يتجاوز؛ فاعتمد عليه وأمّره على ما ذكرناه من الرؤساء أصحاب الخراج، فإنك تحمد عاقبته إن شاء الله.

---

(١) الوزعة: (ج) الوازع: الدافع الداخلي الذي يمنع الإنسان من سلوك معين.

الباب الحادي عشر
في رفع الجبايات إلى الحضرة الإلٰهية
ووقوف الإمام القدسي
عليها ورفعها إلى الملك الحق سبحانه

اعلم أيها السيد الكريم إعلام تنبيه لا إعلام تعليم أن الله تعالى هو ملك الأملاك ورب الأرباب وسيد السادات، والكل عدم بوجوده؛ إذ هو الموجود على الإطلاق، الذي لا بداية لوجوده ولا نهاية لبقائه، ولا ظاهر ولا باطن في علمه في حقه، بل الأشياء كلها قديمها وحديثها، أولها وآخرها، أسفلها وأعلاها، إنما ظهرت به وإنما رجعت إليه منه؛ لا يخرج شيء منه إلا إليه.

فجميع أعمالك كلها خفيها وجليها هو سبحانه مطلع عليها، فلا يطلع لك على ما يكرهه منك ولا يجدك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وأنت سميع مطيع.

أيها السيد الكريم، تعين علينا التنبيه على كيفية وصول جباياتك إليك من الحضرة القلبية والحسية [ومنك إلى الله تعالى. أما الحضرة الحسية] فإنها تجبي المحسوسات [التي ذكرناها والخيال أميرها وصاحب خراجه الحس، فتأخذ الحواس جميع المحسوسات] على اختلاف أصنافها وتؤديها إلى الحس صاحب الخراج، في خزانة الخيال فتكتسب هنالك اسماً من جنس ما رفعت إليه ويزول عنها اسم المحسوسات وينطلق عليها اسم المتخيلات.

[ثم يكون الخيال أيضاً صاحب خراج تحت سلطان الذكر فيحفظها وينتقل هنالك اسم المتخيلات عنها] إلى المذكورات والمحفوظات.

ثم يرجع الذكر صاحب خراج تحت سلطان الفكر فيعرضها عليه ويسبرها ويخلصها ويسأل الرعية عنها، ويفرق بين الحق والباطل في ذلك؛ فإن الحس له أغاليط كثيرة.

وينتقل اسم المذكورات عنها إلى المتفكرات، فإذا سيرها ورد منها إلى الحس ما

غلط فيه وأخذ منها ما صح ودخل به إلى حضرة العقل، صار الفكر صاحب خراج تحت سلطان العقل.

فلما وصل إلى حضرة العقل دخل عليه وعرض ما جاء به من العلوم والأعمال مفصلة: هذا عمل السمع، هذا عمل البصر، هذا عمل اللسان، حتى يستوفي جميع ذلك، وينتقل اسمها إلى المعقولات. فيأخذها العقل الذي هو الوزير ويأتي بها إلى الروح الكلي القدسي، فتستأذن له النفس الناطقة فيدخل فيضع جميع المعقولات بين يديه ويقول له: السلام عليك أيها السيد الكريم والخليفة؛ هذا ما وصل إليك من بادية حضرتك على يدي عمالك، فيأخذها الروح فينطلق إلى حضرة القدسي فيخر ساجداً، وتلك السجدة قرب وقرع لباب الحق حضرة القبول، فيفتح فيرفع رأسه، فتقع الأعمال من يده للدهش الذي يحصل له في حضرة التجلي، فينادي: ما جاء بك؟ فيقول أعمال فلان ابن فلان الذي جعلني سلطانك خليفة عليه قد رفع إلي جميع الخراج الذي أمرتني بقبضه من بادية الحضرة؛ فيقول الحق قابلوه بالإمام المبين الذي كتبته قبل أن أخلقه فلا يغادر حرفاً واحداً فيقول ارفعوا زمامه في عليين فيرفع، فهذا في سدرة المنتهى[(١)].

وأما إن كان في تلك الأعمال مظالم وما لا يليق فلا تفتح لها أبواب السماء ومحل وصولها الفلك الأثير، وهنالك يقع الخطاب كما وقع في الأول، ثم يؤمر بها فتودع في سجين. قال تعالى: ﴿**إن كتاب الفجار لفي سجين**﴾ [المطففين: ٧]، وقال: ﴿**إن كتاب الأبرار لفي عليين**﴾ [المطففين: ١٨]. فيقول الحق للروح القدسي في سدرة المنتهى: يا عبدي، هذه الأعمال رفعتك إلينا وأحلّتك هذا المحل الأسنى، انظر أخاك وصاحبك دون السماء، [فينظر إليه] فيعرف منة الله عليه، فيشتغل بالمنة عن المشاهدة فيقول الحق قد شغله فضلي عني فيحتجب.

ولولا هذا ما صح أن يزول من تلك الحضرة ولكن قد جعل الله لكل شيء سبباً ليتم الكلمة. قال تعالى: ﴿**وكلمته ألقاها إلى مريم [وروح منه]**﴾ [النساء: ١٧١]؛ وقال: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ [فاطر: ١٠]؛ وينتقل اسم الأعمال عند ما وصلت إلى الروح من المعقولات، فأطلق عليها الأرواح، فكساها سبحانه لما نظر إليها حلل البهاء وأقعدها على منبر الحلال، ونقل اسمها من الأرواح إلى الأسرار؛ فهذا معنى قول

---

(١) سدرة المنتى: شجرة في الجنة.

القائل: تزكو الأعمال أي تتطهر وتعلو وتنمو، فتنتقل عليها الأسماء بانتقالها وهي واحدة في ذاتها؛ فانظر ما أشرف حركة العبد في الطاعة.

وهناك يجتمع الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة وعمل الجوارح وعمل القلوب، أعني في حضرة العقل. وأما أعمالك السيئات فإنها تفترق من الصالحات في خزانة الخيال ومن العالم العلوي في الفلك الأثير.

فعليك أيها السيد بهذه الأعمال التي تخترق السمٰوات العلى؛ وأما العلوم فليست من الأعمال التي ذكرناها فإن العلوم بحيث معلوماتها فإذا صعدت المعارف ووقفت كل معرفة بمعروفها فاجعل علمك بالله يكن علمك مقدساً منزهاً عن النقائص، [ولله الحمد] ولله در القائل:

ظهـرت لمـن أبقيـت بعـد فنـائـه   فكــان بــلا كــون لأنــك كنتــه

الباب الثاني عشر
في السفراء والرسل الموجهين إلى الثائرين بمدينة البدن

اعلم أيها السيد أن الحكمة قد أعطت عند من غلب عقله على شهوته من الملوك أنه لا يوجه رسولاً إلى عدو من أعدائه إلا ذا فطنة وذكاء وشجاعة ووفاء وسخاء وصدق وديانة وأمانة وعلم بالحجة ومواقع الكلام. فإن الرسول دليل على مرسله ومنزلته، فإن كان على هذه الأوصاف علم أن مرسله بهذه المثابة وأعلى. فإنه لولا علم من أرسله وعقله لما ميز هذا الرسول من غيره.

وإن كان بضد ما وصفنا [كان باغياً] كثير الهوس[1] سخيفاً، علم أن الذي أرسله أسخف منه.

فإذا تقرر هذا فلتكن رسلك أيها السيد الكريم إلى الهوى الملك المطاع الثائر بمدينتك التوفيق والهدى والفكر والاعتبار والتدبر والثبات والقصد والحزم والاستبصار والتذكر والخوف والرجاء والإنصاف وما شاكل هذه الأوصاف؛ فهؤلاء ينبغي أن يكونوا رسلك. فأفلح وربح وعظم ملك كانت رسله هؤلاء إلى أعدائه؛ فإنه يعلم على الضرورة أنهم يقمعون عدوه بالحجة القاطعة، وربما أسلم ويرجع الهوى الذي كان يقصد الشر يقصد الخير، وتكفي مؤونة المقابلة والمقاتلة.

فإن قدمت رسل الهوى الذي هو الثائر عليك والساعي في فساد ملكك فلا تغلظ عليهم فإن إهانة الرسل من عدم السياسة. ورسله [أي رسل الهوى] الحرص والكذب والخيانة والغدر والجبن والبخل والجهل والشره[2] والعي والبلادة وما شاكل هذا الصنف. فمن جاء منهم إليك فلا تنفر عنهم ابتداءً، فلا تنهرهم وقل لهم قولاً كريماً؛ فإنك تأخذ بأسماعهم وأبصارهم؛ واقعد على سرير ملكك وأخلِ لهم مجلسك وأمر وزيرك العقل يترجم لهم عنك فإنه سؤوس.

---

(١) الهوس: طرف من الجنون.

(٢) الشره: أسوأ الحرص.

فإن كان الحرص من جملة الرسل وتكلم فإنه لا يتكلم إلا بحقيقته، فيقول لك إن هذا الملك المطاع الذي اسمه الهوى قد أرسلنا إليك لتدخل تحت سلطانه وإلا فلتأذن بحرب. وقد أمرك بأن تحرص على [جمع الأموال] والادخار ومخالفة ما جاءت به الشريعة. فتقول له: أيها الرسول، مكانتك عندنا عظيمة ومنزلتك كريمة. فإنه إذا سمع هذا منك سر به فإنه لا [يسمع مثل هذا] من سلطان.

ولكن أيها الرسول، انظر هذا بعقلك وأنصف من نفسك ما تقول في الله أهو ربنا أم لا؟ فيقول: نعم هو ربنا. فتقول له: [أيها الرسول]، هذه الدار التي نحن فيها أنحن راحلون عنها أم لا؟ فيقول: بلى راحلون عنها. فيقول: انقلابنا ورحلتنا إلى الله أم إلى غيره؟ فيقول: لك إلى الله فتقول: بماذا وصف من خالف شرعه ودينه؟ فيقول: بالشقاء فتقول له: ومن أطاعه؟ فيقول بالسعادة. فتقول له: وهل يغني عنك أحد من الله شيئاً؟ فيقول: لا. فتقول [له أنت] أيها الحرص رسول هذا الهوى، تعلم أني أدعو إلى ما فيه مرضاة الله؛ هبك تحرص على طلب المال، هل يصح لك منه إلا ما كتب الله ولو لم تحرص؟ فيقول: نعم.

فتقول: حقيقتك باقية أيها الحرص، ولكن اصرفها إلى الطاعات ومرضاة الرب، واحرص عليها تسعد بها ومتاع الدنيا قليل؛ ومع قلتها فانية، والدار الآخرة خير وأكبر. [أنت يا حرص هنا] وما انتقص لك من منزلتك شيء، فيقول نعم. فيسلم؛ ويتوجه الحرص على طريق العلم والدين، فيسوى ملكك ويضعف ملك الهوى.

وهكذا تفعل مع كل رسول منهم مثل الخيانة والكذب والفجور إلى آخرها؛ ولولا التطويل لذكرنا كيف تقام الحجج على كل رسول منهم بما تقتضيه منزلته حتى يسلم الكل؛ فإن الإسلام هو الأصل فيرجعون إلى أصولهم بخلاف رسلك فإنهم لا يرتدون أبداً عليك، وغايتهم ألا يقبل الهوى كلامهم فينصرفون خائبين.

فاعرف هذه الحقائق فقد بينت لك كيف تكلم رسل عدوك، ومن ذلك الواحد تستدل على الباقي. ولهذا ترى المريدين اليوم يقل فلاحهم لعدم محاضرتهم مثل هذا المجلس؛ وإنما هم يغلظون بالقول على هؤلاء الرسل من غير سياسة؛ فلهذا [تراهم لهم] دخول في طريق الخير وليس لهم ثبوت ويسخر منهم الشيطان؛ وهنا حقائق متسعة لا ينحصر بابها فتركنا الخوض فيها مخافة أن ينخرق علينا ما يخرجنا عن مقصودنا من الاختصار.

وهذا القدر كافٍ فاستعمله [والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه].

الباب الثالث عشر
في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم

اعلم أيها السيد الكريم أن الأجناد هم الأعمدة التي يقوم عليها فسطاط[1] الملك والأوتاد [الذين يمسكونه]. واعلـم أن الملك بيت؛ فلا بد له من أربـعة أركان تمسكه؛ وأنا أبينها لك إن شاء الله؛ وهي أوصافك المحمودة وخلقك الرفيعة؛ فلتصطف منهم أربعة خواص تدور عليـهم أفلاك مملكتك ورحى سلطانك؛ وما بقي من الأجناد فتحت أمر هؤلاء الأربعة؛ فيـنحصر لك النظر فيهـم وهم يدبرون ملكك كل واحد بطائفة معلومة.

وإنما جعلناها أربعة لأمرين: الأمر الواحد أن الأربعة الأصل الثاني في البسائط العددية والبسائط أصل في تركيب الأعداد إلى ما لا يتناهى. وذلك أن بسائط العدد من واحد إلى عشرة؛ وليس في البسائط عدد يجمع العشرة إلا الأربعة. فإن الأربعة حقيقتها أربعة وفيها الثلاثة فكانت سبعة، وفيها اثنان فكانت تسعة، وفيها الواحد فكانت عشرة؛ وليس في العدد عدد يتضمن العشرة غيرها.

فلهذا اصطفيناها لتضمنها هذه الحكمة وحلها قوى ما بقي بالقوة، فعلمنا أن الأربعة يقومون بالملك، ولهذا كانت حملة العرش ثمانية كما قال تعالى؛ وهم اليوم أربعة كذا قال النبي ﷺ؛ ولهذا قال تعالى لما وصف يوم القيامة: ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية**﴾ [الحاقة: ١٧]. فقال يومئذٍ، يشير إلى يوم القيامة.

ووجدنا ملك هذا العالم الحيواني وهو ملكك قد قام على أربع طبائع، والعالم الكبير قد قام على أربعة عناصر وهذا باب الأربَعين. والأربع باب واسع يخرجنا إيراده لك عن المقصود في الفائدة.

وأما الأمر الآخر الذي لأجله أمرناك أن تختص أربعة فلأن الجهات التي يدخل

(١) الفُسْطاط: بيت يُتخذ من الشَّعَر.

عليك الخلل منها ويفسد ملكك أربع جهات: اليمين والشمال والخلف والأمام فمن ثم يأتيك الخلل.

قال الله تعالى: ﴿**ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم**﴾ [الأعراف: ١٧]، ولم يذكر أكثر ولا يصح؛ فإنه ما بقي إلا اثنان: الفوق والتحت. فأما التحت فإليه يدعوك، وأما الفوق فهو محل طريق التنزل الإلٰهي فلا تقربه لئلا تهلك؛ هو طريق القضاء والقدر الذي اختص الله به فلا مدخل لمخلوق فيه.

فينبغي لك أيها السيد الكريم أن تنظر في هذه الجهات الأربع التي يدخل عليك الفساد منها وتجعل على كل جهة منها واحداً من هؤلاء الأربع بأتباعهم وأجنادهم، وهم يحمون الملك وتعيش هنيئاً في عافية آمناً؛ فإن عدوك ختال جبان لا يقوى على القتال وإنما يطمع في الغدر.

فإذا جعلت المراقبة عطايا هؤلاء الأربعة صح أمرك، ومهما جاءك العدو من أي ناحية جاء وجد من يمنعه من الوصول إلى مراده فيك؛ فلتجعل الخوف عن يمينك، والرجاء عن شمالك، والعلم أمامك بين يديك، والتفكر من خلفك. فإذا جاء العدو عن يمينك وجد الخوف بأجناده فلا يستطيع معه دفاعاً، وكذلك ما بقي.

وإنما رتبنا هذا الترتيب لأن العدو إنما يأتي من هذه الجهات، فخصصنا الخوف باليمين وذلك أن اليمين موضع الجنة والشمال موضع النار. فإذا جاء العدو من قبل اليمين إنما يأتي بالجنة العاجلة وهي الشهوات واللذات، فيزينها لك ويحببها إليك، فيعرض له الخوف فيدرأه[١] عنها، ولولاه لوقع فيها وبوقوعه يكون الهلاك في ملكك.

فلا يجب أن يكون الخوف إلا في هذا الموضع، ولا تستعمله في غيرها من الجهات فيقع اليأس والقنوط؛ ومن الحكمة وضع الأشياء في مواضعها فالخوف للإنسان كالعدو للجندي فلا يأخذها إلا عند مباشرة العدو أو لتوقي نزوله، وإن أخذها في غير هذا الموطن سخر به وكان سخيفاً جاهلاً.

وإن أتاك العدو من جهة الشمال فإنه لا يأتيك إلا بالقنوط واليأس وسوء الظن بالله وغلبة المقت ليوقع بك فتهلك، فيقوم لك الرجاء بحسن الظن بالله عز وجل، فيدفعه ويقمعه.

---

(١) درأ الشيء: دفعه.

وكذلك إذا أتاك من بين يديك أتاك بظاهر القول فأداك إلى التجسيم والتشبيه، فيقوم لك العلم فيمنعه أن يصل إليك بهذا فتكون من الخاسرين.

وكذلك إذا أتاك من خلفك أتاك بشبه وأمور من جهة الخيالات الفاسدة، فيقوم له التفكر فيدفعه؛ فإنك إن لم تتفكر وتبحث حتى تعثر [على أن] تلك الأشياء شبهات وإلا هلك ملكك.

ولا سبيل للعدو في قتال هذه المدينة التي هي سلطانك إلا من هذه الأربع جهات؛ فإذا رتبت هؤلاء كما ذكرت لك امتنع بلدك واحتمى، ولم يستطع العدو مدافعتهم، [فإن زدت ولا بد على هؤلاء فلا تزد على العشرة] يكونون في بساطك تلقي إليهم. وإنما جعلناها عشرة من أجل حفظ العقائد، فإن الحدود عشرة التي هي رأس تنزيه الحق؛ وهي أمام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت وقبل وبعد وكل وبعض. فمن نزه ربه عن هذه الحدود التي مدار السلامة عليها وبقاء الملك في دار البقاء، فقد نزه ونال السعادة الأبدية.

فإن غرض العدو في هدم قاعدة من قواعدها التي ذكرناها فاحذر واجعل تحت أيدي هؤلاء القواعد من الأجناد ما تحتاج إليه وتخصه بحد ما من حضرة الحدود لكل حد أمير بأصحابه يقف عنده بنقبائهم وعرفائهم؛ فإذا جاء العدو سهل عليك المرام ونظرت من أي ناحية وصل، فتدعو بالأمير الذي في تلك الناحية وتأمره بالبروز، فإنه يكفيك همه، وهكذا في جميع النواحي.

فتحقق أيها السيد الكريم ما رسمنا وحافظ على هذا الترتيب تسعد وتغتبط إن شاء الله تعالى وحده، [وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل].

الباب الرابع عشر
في سياسة الحروب وترتيب الجيوش عند اللقاء

عليك أيها السيد الكريم بالمحافظة على ذاتك الشريفة، فاقصد أنزه موضع عندك وأحصنه، فالزمه واجعله موضع سكناك ألا وهو الكرسي موضع القدمين، وذلك المنزل هو دار السنة وحصن الشرع الحامي المانع العالي الذروة. ولا تباشر الحروب [بنفسك فإنك إن هلكت هلك ملكك وإن بقيت بقيت في حضرتك وتوجه لمباشرة الحرب] بعض قوادك وأمرائك الذين ذكرناهم ورتبناهم لك؛ فإن هزموا بقيت أنت [وبقي ملكك وعندك من الرجال والأجناد بما تمدهم، ألا ترى إذا يبس الفرع] وانقطع وهلك جبره الأصل وتفرعت الشجرة؛ وإن هلك الأصل فسدت الشجرة كلها.

فالملك أصل ملكه، فببقائه وعدله بقاء ملكه وبهلاكه وجوره هلاك ملكه؛ والدولة جسم روحه الملك. فمتى [هلك الروح] هلك الجسم، وإذا انفسد في الجسم شيء والروح باقٍ أصلحه الطبيب، والتدبير هو طبيبك فحافظ على نفسك ولا تباشر بها عدوك.

مكيدة:

إذا نزل بك عدو والتقى الجمعان فقف على ساحل بحر العلم، ثم اضرب بعصا الهمة متن ذلك البحر العلمي. فإذا انفتح لك طريق فادخل فيه فإن عدوك سيقفو أثرك. فإن العلم باب الرئاسة والعجب والشيطان يطمع فيه؛ فإذا توسط العدو يجد العلم خلفك، فإنه ضرورة ينطبق عليه فيفرق من غير قتال ولا مدافع؛ ولهذا قال بعض العلماء: «طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يردنا إلا لله»، وهذا من أحسن مكر الله، ﴿**والله خير الماكرين**﴾ [الأنفال: ٣٠]؛ فإن فرعون اقتفى أثر موسى وغاب عن مكر الله وهلك.

فإذا قال لك عدوك اطلب العلم لتسود به على أبناء زمانك وتخضع لك الملوك ويفتقر إليك الخلق، فلا تقل هذا خاطر شيطاني فيتفطن لك عدوك؛ ولكن اشرع في طلب العلم فإن الشيطان وهواك يفرحان بعملك في غير علم؛ وغاب عنهم أن العلم يأبى إلا أن يعطي حقيقته، والجهل الذي طرأ على إبليس في هذه المسألة أنه تخيل أنه بالعلم ضل،

وظن أن قوله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، وأن السجود لغير الله على طريق العبودية.

لذلك، وهذا كله جهل محض لا علم، وهو يتخيل أنه علم فقال بالعلم ضللت؛ فلهذا يحرّض على طلب العلم ولا يعلم أن العلم يكشف عورته وجهله.

وهكذا أيها السيد جميع مطالب الخَيرات إذا حرّض عليها عدوك بالمقاصد الفاسدة فلا ترجع عنها، فإن المرائي العاقل أحسن من المخلص البطال. فإن العمل إذا استمر وإن لم يكن خالصاً لا بد من نور يحصل للقلب يرده في لحظة إلى الإخلاص فيقلب جميع أعمالك السالفة؛ ولهذا يكثر حزن العدو وأسفه، فإنه محرض لك على هذه الأفعال التي انقلبت في حقك حسنى فاعلم.

وأما ترتيب الجيش عند اللقاء فكما ذكرنا لك في الباب قبل هذا، ولتكن أنت في القلب مع خواصك، فإن هذا مما يهول العدو منظره؛ فإنه لعنه الله لا يقابلك أبداً وإنما يريد غدرك؛ فإن مقابلته إنما هي مع الملك عليك ولك أنت الرد والقبول، وترتيبه على التفصيل يطول تضيق هذه العجالة عن بسطه ولا فائدة فيه لعدم القتال [من العدو]؛ فغايتك معه أن تحذر مواضع الغدر فافهم [والحمد لله رب العالمين].

الباب الخامس عشر
في ذكر السر الذي يغلب أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه

اعلم [وفقك الله] أن العدد سر من أسرار الله تعالى في الوجود، وكل عدد مذكور في القرآن وفي الشرع فلمعنى. وهكذا خلق الله الموجودات متعددة من اثنين إلى اثني عشر وهي نهاية مراتب العدد؛ [فإن مراتب العدد] أربع: آحاد وعشرات ومائون وآلاف؛ والأربعة أكمل العدد، ونهاية كل واحد منها إلى تسعة ويأخذ في التكرار.

وإنما قلنا إن الاثني عشر هي النهاية فإن العالم الإنساني نهاية تركيبه بوجه ما من اثني عشر، فإنه مركب من أمهات أربع ومولدات أربع ونفس وعقل والإنسان والمرتبة، وقد توقع قوم بهذه الأعداد واستخرجوا منها علوماً كثيرة، ودلوا بها على التوحيد، وشرح ذلك يطول في هذا المختصر.

فلنرجع ونقول: إن الواحد إذا حملته على مثله بواسطة الواو لا بواسطة الألف فيظهر وجود الإثنين، والواحد ليس بعدد ومنه ينشأ العدد وبعدمه يفنى؛ فتركبه على الاثنين فيظهر [وجود الثلاثة، وعلى الثلاثة فيظهر وجود] الأربعة، وتنقصه من الألف فيزول الألف فهو أصل.

فأول الأعداد الشفعية الاثنان، وأول الأعداد الفردية الثلاثة؛ والاثنان أصل لكل شفع أو زوج، والثلاثة أصل لكل فرد أو وتر. فالزوج مقدم على الفرد تقدماً طبيعيًّا لا يمكن خلافه؛ فإن تقدمه تقدم طبيعي لا يمكن أبداً أن توجد الأربعة قبل الثلاثة ولا الخمسة قبل الأربعة.

فإذا تقرر هذا العدد محصوراً في زوج وفرد، فثم مواطن [يغلب الزوج فيها الفرد]، وثم مواطن يغلب الفرد فيها الزوج؛ وعلى الإنسان أن يحارب هواه وهوى غيره؛ وإذا حاربه فلا يخلو أن يحاربه في مباح أو في معصية.

[فإذا حارب هواه فليغلب الزوج على الفرد في معصية كان أو في مباح، وإن حارب هوى غيره فليغلب الفرد على الزوج؛ إلا إن كان في معصية] فإنه يغلب الزوج على الفرد؛

فإن التوحيد توحيدان: توحيد الأحدية وهو توحيد العصاة من الأمة الإسلامية، وهو توحيد صحيح مركب على أصل فاسد؛ وتوحيد الفردانية وهو توحيد محمد وموسى ﷺ، والعارفين العلماء من الأمة الإسلامية وهو توحيد صحيح مركب على أصل صحيح.

فتوحيد الأحدية يغلب على كل شيء في كل موطن، فتحفظ منه أن يصرفه عليك عدوك؛ وتوحيد الفردانية يغلب في مواطن ويُغْلب في مواطن، فالتزمه في مواطن غلبته؛ وإذا غُلِبَ فالتزم توحيد الأحدية.

وهذا الباب يحتوي على أسرار عظيمة تركناها طلباً للاختصار، فإنها متشعبة يتعلق بعضها ببعض، ويتوقف فهم بعضها على فهم بعض، فيكفي هذه الإشارة للعارف [والله أعلم].

الباب السادس عشر
في ترتيب الغذاء الروحاني على فصول السنة لإقامة هذا الملك الإنساني وبقائه

اعلم أن الغذاء سبب إلٰهي موضوع لبقاء كل متغذ لا غنى له عنه، وما بقي بيننا وبين الطبيعيين، إلا في الأشياء التي اعتيدت غذاء فنحن نجوز عدمها وترك استعمالها الشهور والسنين مع بقاء الحياة في المتغذي ببقاء الحرارة والرطوبة الذي هو طبع الحياة بصورة ما. فما دام الحق يغذيه بخلق الحياة فيه بقي، وهم يرون هذه الأطعمة التي هي عندهم أسباب وجود الحياة. وهذا الفصل لا يحتاج إلى الكلام مع المخالفين فيه فإن طريق التصوف ليس مبنياً على مجادلة المخالفين لأنهم في عين الجمع مشغولين بقلوبهم مع الله كيف ينبغي أن يكون.

فاعلم أن فصل الربيع حار رطب وهو طبع الحياة، وأن النفس تنشط فيه للحركة والأسفار والفرج والنزهات، فإن ذلك زمان الحركة الطبيعية في جميع الحيوانات والنباتات فتهتز النفس الحيوانية [لذلك فإن سامحها] المريد أخطأ.

فالله الله أيها السيد الكريم، إذا أعطى الزمان شيئاً بطبعه ورأيت بعض أهل مملكتك يشاكل طبعه ذلك، فلا تتركه وطبعه، ولكن مر وزيرك العقل يأمر خديمه الفكر يأخذ من القوة الحافظة ما عندها من الأمور الشرعية مثل قوله تعالى: ﴿**إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**﴾ [النور: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿**فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت**﴾ [يونس: ٢٤] وجعل ذلك حياتها فتكون حركة المريد في هذا الفصل الربيعي في طلب الغذاء الذي يوافق هذا الزمان، فيأخذ من أسرار هذه المعاملات ما ليس للنفس فيها تلك المجاهدة الشاقة فتشرع في السنن والشرعيات التي تعطيها المقامات العلية مع عدم الشدة والضيق كالاعتبارات والأفكار في المصنوعات [وإجالة البصيرة على شهود الصانع عند إجالة البصر في المصنوعات].

فإذا تحققت بهذا النظر سامحها في الخروج إلى الفرج والأنهار والمروج ومواضع النواوير والأزهار من الجبال والغياض، فلا تزال تجني ثمر الاعتبار والفكر والاستبصار على كثرة ما شاهدته من عوالم الأزهار والنوار في الجبال والقفار وشواطىء الأنهار، والتفكر في الجنة وما أعد الله فيها لأوليائه؛ فإن زمان الربيع زمانها وهي الدار الحيوان، فهي حارة رطبة طبع الحياة.

[فإذا فكر] في هذا كله حرضه على الأعمال وهون عليه شدائدها لعظيم ما يرجوه من النعيم الدائم عند الله؛ فهذا هو زمان الشباب والاقتبال، وليس آخره كأوله.

وأما زمان القيظ فهو حار يابس طبع النار، فينبغي لك أن يكون الغالب عليك أيها السيد في هذا الفصل الفكر في حال الشيخوخة والضعف عن الأعمال التي لا يقدر عليها من كبر سنه؛ والفكر في جهنم وشدتها وسعيرها، وينظر في آية قوله: ﴿**وإذا الجحيم سعرت**﴾ [التكوير: ١٢]؛ وتفكر في حر يوم القيامة وعطشه، وطرد الناس عن الحوض وإلجام العرق. فأمثال هذا [ينبغي أن يكون غذاء نفسك في هذا الفصل فإنه يلائمه للالتحاق بالعالم السعادي، هذه حالة جيدة.

وأما زمان الخريف وهو الفصل الثالث، فهو بارد يابس، وهذا طبع الموت]، فينبغي أن يكون الغالب عليك في هذا الفصل في غذائك التفكر في الموت وسكراته وغمراته، وهل يختم لك بالتوحيد أو بالشرك وما تلقاه من خصميك ومن نزع الملك روحك الطيبة أو الخبيثة، وهل يفتح لك باب السماء أولاً، وهل تكون عند موتك في عليين أو في سجين، وأن ذلك أول موطن من ولاية الآخرة، وأن الدنيا اليوم حاملة بك، وهذا الجسم كالمشيمة[1] للمولود، وبالموت تقع الولادة، لهذا قال: ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً**﴾ [النحل: ٧٨].

وكذلك أنت اليوم بالإضافة إلى ما يفتح لك من علوم الآخرة وما تعانيه وما أعد الله لعبيده من الوعد والوعيد؛ فمثل هذا الفكر يكون الغالب عليك في زمان الخريف.

وأما زمان الشتاء فإنه بارد رطب وهو طبع الهرزخ، فينبغي [أن يكون] غذاؤك في هذا الزمان التفكر في البرزخ بين المنزلتين: هل أنت ممن يعرض على النار غدواً وعشياً كآل فرعون؟ أو ممن يعرض على الجنان تعلف من رياض الجنة وتتبوأ منها حيث شئت كالمؤمنين.

---

(١) المشيمة: ظاهر الغشاء الذي يكون فيه الجنين في البطن، ويخرج معه عند الولادة.

وتفكر في الحسرة المستصحبة لك في البرزخ على ما ضيعت من الأنفاس والأوقات إما في المخالفات أو في المباحات فتتمنى في ذلك الوقت أن يردك الله إلى الدنيا، وليس ذلك التمني بنافع لك وليس الله برادك فتكثر حسراتك وتتوالى عليك زفراتك.

[فإذا تيقنت] بالفكر الصحيح والعلم الراسخ أن ذلك وقت الحسرة والتغابن ولا ينفعك فيحرضك على الجد والاجتهاد في هذا الوقت في حياتك الدنيا حيث ينفعك حسرتك إن حسرت، وتوبتك إن تبت، وندمك إن ندمت، كما قال تعالى: ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾ [الفرقان: ٧٠]؛ [وقال تعالى: ﴿**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**﴾ [النساء: ١٨]؛ فإن ذلك الجزء من الحياة الدنيا ليس منها، وإنما هو من البرزخ من الدار التي لا ينفع فيها ما عمل. فليكن غذاء نفسك هذا الغذاء في هذا الفصل فإنه نافعك إن شاء الله.

فإذا جمعت بين الغذائين فقد صح جسمك للمعاملات وصح عقلك للواردات، وكنت في كل زمان صاحب علم وعمل؛ وهو الذي حرضك الشرع عليه وأمرك به وندبك إليه.

فاسع أيها السيد في نجاة نفسك ونجاة رعيتك، واعلم أن أهل دولتك إن عاشرتهم في الدنيا بالحق والعدل والإنصاف، وتمشيت بهم على الطريقة الواضحة الشرعية، فإن الله تعالى يقيمهم يوم القيامة شهداء لك بالعدل وحسن الثقة والسيرة والمعاشرة، وإن عدلت بهم إلى طريق المخالفات والمحظورات انعكس عليك وأوقفهم الحق [يوم القيامة] شهداء عليك بقبح السيرة وسوء المعاشرة.

فالله الله تحفظ، قال الله تعالى: ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾ [يس: ٦٥]؛ [وقال: ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**﴾ [النور: ٢٤]، وقال: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦].

وكما أنه لكل فصل من فصول السنة عللاً وأمراضاً تحدث فيها في الأبدان وعلى حسب السنة، كذلك يكون في الروحانيين علل. فلتنظر إلى الأغذية الروحانية التي رسمنا لك في كل فصل فإن الشيء الذي يحول بينك وبين تناولها والأخذ فيها فهو [علتك في ذلك] كائناً ما كان من غير تعيين أنت تعينه لنفسك؛ فإنك تدري السبب الذي حال بينك وبين أخذ هذا الغذاء الذي فيه حياتك وصحتك وبقاؤك.

وإنما ذكرنا العلوم في الأغذية وسكتنا عن الأعمال ولم نجعل العمل غذاء، فإن العمل لا يحيا به الروح وإنما يحيا بالعلم الإلٰهي والعلم الإلٰهي لا يظهر إلا بالعمل. فإذا أمرتك باكتساب هذه العلوم الإلٰهية في هذه الأزمان المختلفة، فقد أمرتك بالأعمال، كما يقول الطبيب يكون غذاؤك زيرباجاً [ومن المحال أن تتغذى بقوله زيرباجاً]، وإنما في الزيرباج روحانية مودعة يؤديها إليك فيقوم الجسم فيأخذ اللحم ويضيف إليه السكر واللوز والزعفران[1] والخل والفلفل، ومن [أفاوه الطيب] ما تيسر، وتركبه على النار اللينة المعتدلة حتى يكون طبخه معتدلاً، فإذا استوى أنزلته وتناولته فأعطاك روحانيته وهي الأمانة التي أودع الله فيه لك، فحييت بها وتقوت صحتك وبقي كل ما عمله الجسم وخدم فيه خرج ثفلاً[2] ترميه في المرحاض.

كذلك الأعمال تعملها فتأخذ روحانيتها من العلوم والدرجات، وتتركها كما تركت تفل ذلك الطعام في جهنم على الكفار، وهي المشاق والشدائد التي نلت في تلك الأعمال من قيام في الأسحار والسعي إلى المساجد وفي سبيل الله، وإسباغ الوضوء في السبرات والبرودة وجميع المكاره، وهي هذه الأعمال الشرعية في الدنيا. فتتركها كلها ولا تنقلب إلى الآخرة، إلا بلطائفها التي أودع الله فيها التي رأيت هنا عنوانها في قوله: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فكما أن الغذاء الجسماني لا تقدر أن تصل إليه حتى [تعمل سببه كذلك هذا الغذاء الروحاني لا تصل إليه حتى] تعمله، وأيسر أعماله أن تأكله فأكله عمل؛ فإن عمله خادم فلا بد من تحريك أسنانك فيه وتسخير اللسان والأحناك والحلقوم والمريء والمعدة والمعاء والكبد، وحينئذٍ يسري منه فيك روح حياة، وهل إذا أكله غيرك يحصل لك منه شيء.

فكذلك هذا الغذاء الروحاني لا بد أن تكون أنت المتناول له بنفسك، وحينئذٍ يعطيه الله لك. فما أعمى أكثر الناس عن إقامة [هذه النشأة الروحانية بهذا الغذاء الروحاني الإلٰهي عن] هذا العمل الشرعي؛ وقد علمنا قطعاً أن الجسم يحشر يوم القيامة على صورة عمله، والنفس على صورة علمها؛ فالسعيد من حسّن صورتيه وجمع بين كلمتيه، فهذا هو الغذاء الذي يحصل من جهة الأعمال.

---

(١) الزعفران: نبات بصلي عطري معمّر من الفصيلة السوسنية، منه أنواع برية ونوع زراعي صبغي طبي مشهور. زهره أحمر إلى الصفرة (ج) زعافر.

(٢) الثُفْل: ما يبقى من المادة بعد عصرها.

واعلم وفقك الله وسددك أن كل محدث فلا بد له من غذاء يغتذي به فيه بقاؤه، واعلم أن ميكائيل [عليه السلام] هو الأمين على الأرزاق والأغذية كلها: المحسوسة ويقابله منك الكبد فهو الذي يعطي الغذاء لجميع البدن، وكذلك إسرافيل [عليه السلام] يغذي الأشباح بالأرواح، وجبرائيل يغذي الأرواح بالعلوم والمعارف.

فكل موجود يكون بقاؤه مربوطاً بأمر ما، فذلك الأمر هو غذاؤه، كالجوهر غذاؤه بالعرض فلا بقاء له دونه، وكذلك الجسم بالتأليف، وكذلك العقل ببعض العلوم الضرورية، وكذلك الهيولى[1] بالصور فلا يزال الروح القدسي متعطشاً لبقائه في وجوده، وبقاؤه بالعلوم الإلٰهية فهي غذاؤه، ولهذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ: **﴿وقل رب زدني علماً﴾** [طه: ١١٤]؛ ثم رآه في صورة الغذاء المحسوس على ما خرجه البخاري[2] في صحيحه قال: قال رسوله الله ﷺ: «[رأيت كأني] أتيت بقدح لبن فشربته حتى خرج الري [من أظافيري]، ثم أعطيت الفضل عمراً. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم»[3] وشربه ليلة إسرائه، وقيل له هو الفطرة أطاب الله بك أمتك.

فينبغي لك أيها السيد الكريم أن تكون مع الله على حكم تدبيره سبحانه في بادية ملكه ولا تتأنَّ في استجلاب غذاء الأرواح فإنك مأمور بسؤال الزيادة منها، فإن الأرواح لا تشبع من العلوم أبداً، وقد عرفنا بذلك وقال ﷺ: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب

---

(١) الهيولى: مادة الشيء التي يُصنع منها كالخشب للكرسي، والهيولى (عند القدماء): المادة التي خلقت منها أجزاء العالم المادية، وهي مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكل في شتى الصور (مع).

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ = ٨١٠ ـ ٨٧٠ م) أبو عبد اللّه، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب «الجامع الصحيح» المعروف بصحيح البخاري، و«التاريخ» و«الضعفاء» و«الأدب المفرد»، و«خلق أفعال العباد» ولد في بخارىٰ، ونشأ يتيماً، وقام برحلة طويلة في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته، وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو، وأقام ببخارىٰ فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خرتنك فمات فيها. الأعلام ٦/ ٣٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ١٢٢، وتهذيب التهذيب ٩/٤٧، والوفيات ١/ ٤٥٥، وتاريخ بغداد ٢/ ٤ ـ ٣٦، والسبكي ٢/ ٢.

(٣) أخرجه البغوي في (شرح السنة ١٤/ ٨٨).

دنيا»[1]. ولا تطلب من العلم ما تأخذه من تحت قدمك وإنما اطلب من الرحمة التي اختص الله بها عباده الذين أفردهم إليه والعلم الذي خصهم به، وهو العلم اللدني. فإن علوم المعاملة وإن لطفت وعلت فإنما علوها وجمالها وحسنها ولطفها بالنظر إلى علوم الأفكار المدنسة بحكم النظر العقلي والافتكار، وهذه وراء طور العقل فنورها أجلى ومرآتها أصفى.

ولكن العلوم اللدنية التي لم يقترن بتحصيلها عمل مع استصحاب العمل والفرقان بينهما فإن علوم الأعمال الهمم متعلقة بها، ولهذا أتت على مدرجة من مدارجها وهي علوم السعادة.

وهذه العلوم التي نبهتك عليها علوم لدنية موقوفة على الامتثال المطلق الذي لم يدنسه المخلوق بكده وإن كان الحق أكده ولكن ثم لطيفة الكشف تطلع سحابة على مرآة الروح، فإنه انبعاث سفلي من الهواء من حيث صعود الأبخرة وتولد السحاب وكل ما دخل تحت العناصر، فإن التغيير يسرع إليه إلا أن يكون صاحبه قوي المحافظة على الموازنة في الحركات والسكنات والمطاعم والمشارب، يحفظ بذلك رتبة الاعتدال؛ فحينئذ إذا تخلص له هذا المقام يكون سعيداً، وهذه العلوم لا تحتاج إلى شيء من الحفظ البشري من أجل العناية والسلام.

---

(١) أخرجه الدارمي (مقدمة ٣٢).

الباب السابع عشر
في خواص الأسرار المودعة في الإنسان
وكيف ينبغي أن يكون السالك في أحواله

وفي هذا الباب أودعت المضاهاة، وهو على خمسة أبواب.

اعلموا يا أصحاب القلوب المتعطشة إلى أسرار الغيوب أنه ما أضيف شيء إلى شيء بأي وجه كان من وجوه الإضافات، من إضافة تشريف واختصاص أو ملك أو استحقاق، ولا دل دليل على مدلول، ولا رأى راءٍ لمرئي، ولا سمع سامع لمسموع، إلا لمناسبة؛ غير أنه قد تظهر فتعرف لقربها وقد تخفى فتجهل لبعدها؛ وهي على قسمين: ظاهرة وباطنة.

فالظاهرة يعرفها أهل الظاهر إذا نظروا وحققوا: والباطنة لا تعرف أبداً بالنظر، فإن معرفتها موقوفة على الوهب الإلٰهي، وهذا هو طور النبوة والولاية، والفصل بينهما لا خفاء به فإن النبي ﷺ متبوع، تابعه الولي ومقتبس من مشكاته، وبظاهر من ضرب المناسبة الظاهرة ووقوع الخطاب تثبت العقائد التي تعمد الخلق بها، فقالوا: [إنه موجود] ونحن موجودون، فلولا معرفتنا بوجودنا ما عرفنا معنى الوجود حتى نقول إن البار موجود، وكذلك لما خلق فينا صفة العلم أثبتنا له العلم وأنه عالم.

وهكذا الحياة بحياتنا، والسمع والبصر والكلام بكلام نفوسنا لا بأصواتنا وحروفنا والقدرة والإرادة، وكذلك سائر الأسماء كلها [من الغنى والكرم والجود والعفو والرحمة كلها] موجودة عندنا، فلما سمى لنا نفسه بها عقلناها.

فما عقلنا منها غير ما أوجده فينا، وما عدا ذلك فعلمنا به من جهة السلب، وهو ليس كالقدم ليس بصفة أثبات وإنما معناه لا أول له في وجوده، فتعلق العلم نبغي الأولية عنه، وعلمناها أيضاً. فإن الأولية موجودة عندنا حقيقة والنفي عندنا معلوم منا بفقد أشياء منا بعد وجودها فينا أوضحها انتقالنا من حال إلى حال ومن مكان إلى مكان ومن نظر إلى نظر.

فقد عرفنا حقيقة النفي وحقيقة الأولية، ثم حملنا النفي على الأولية ووصفنا الحق بها وهي صفة سلب، وقد يعلم الشيء بنظيره وبضده، وقال ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه»، فأثبت له من الصفات ما خلق فيّ لا غير، فهذه معرفة.

وبقيت معرفة [السلب التي بها امتاز عنا، فأخذنا الصفات التي ثبت بها حدوثنا وعبوديتنا وإخراجنا] من العدم إلى الوجود، ونفيناها عنه ولم نجد له صفة إثبات معينة ليست عندنا نعرفه بها، لكن نعرف أنه علم حكم ليس نحن عليه، ثابت له. فلولا هذه المناسبة ما صحَّت لنا عقيدة وما عرفناه أصلاً.

ثم بعد هذا وإن عرفناه بما وصفنا فإن هذه الصفات في حقنا تعقبها الآفات والأضداد، وهي له باقية لا يعقبها ضد ولا آفة؛ وعرفنا هذا ببقائنا عليها زمانين فصاعداً، فقد عرفنا صفة البقاء فأصحبناه [تلك الصفة النزيهة المقدسة، وهذا الباب يطول، وأوضحناه بيّناً] في كتاب «إنشاء الجداول» وهو كتاب شريف بينت فيه المعارف بالأشكال ليقرب إلى الأفهام، فهذا ضرب من المناسبة الظاهرة والمضاهاة في الحضرة الإلٰهية.

وأما المناسبة الباطنة فوكلناك فيها إلى نفسك فإنها تدرك بالمجاهدات في المشاهدات، وبقيت لنا المضاهاة الثانية التي بين الإنسان والعالم. وقد بسطنا القول فيه في أكثر كتبنا، ولنذكر منه هٰهنا فصلاً قريباً جامعاً يحوي على كلياته وأجناسه وأمرائه الذين لهم التأثير في غيرهم، ولو ما قصدنا في كتابنا هذا طريق الإشارة والتنبيه لضربنا له دوائر على صور الأفلاك وترتيبها، ونجعل لكل فلك في العالم ما يقابله من الإنسان بخاصية ذلك الفلك، ويدور الخلق كله على أربعة عوالم: العالم الأعلى وعالم الاستحالة وعالم عمارة الأمكنة وعالم النسب، ولكل واحد من هذه العوالم غاية: فجميع ما يحتوي عليه العالم الأعلى من العالم الكبير عشرون حقيقة، وعالم الاستحالة خمس عشرة حقيقة، وعالم عمارة الأمكنة أربع حقائق، وعالم النسب عشر حقائق، وهي كلها في الإنسان موجودة، وهذه هي الأمهات وهي تسع وأربعون حقيقة.

وكذلك الإنسان، فالعالم محصور في ثمان وتسعين حقيقة مما يقتضيه خلقه، ثم زاد الإنسان على العالم بالسر الإلٰهي المبثوث فيه الذي صح له به الاستخلاف وتسخير ما في السمٰوات وما في الأرض؛ فجاء الأمر كله تسعاً وتسعين حقيقة من أحصاها دخل الجنة، والموفي المائة، المهيمن على كل شيء وهو الحق.

فالوجود كله مائة الموفي مائة، منها الاسم الأعظم، وكذلك الجنة مائة درجة

الموفي مائة منها جنة الكثيب الذي ليس فيه نعيم إلا الرؤية، وليس لمخلوق فيه الدخول إلا وقت النظر وهي حضرة الحق.

وهذه أسرار عجيبة نبهناك عليها لتعرف منزلتك من الموجودات، وإن النار مائة درك والموفي مائة منها درك الحجاب وهو محل المشاهد، إذا ارتد ورجع فإنه يهوي في جهنم وينزل في دركاتها على مقابلة الدرج الذي سقط منها.

فأعلى عليين يقابل: أسفل سافلين، قال الله تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ [التين: ٤] فما بعده أحسن منه، ﴿**ثم رددناه أسفل سافلين**﴾ [التين: ٥]، فما بعده أسفل منه.

ثم نرجع ونقول: فأما العالم فأعلاه [لطيفة الاستواء] وهي الحقيقة الكلية المحمدية وفلكها الحياة، ينظر إليها من الإنسان [لطيفته والروح القدسي، ثم في العالم العرش ينظر إليه من الإنسان الجسم؛ ثم في العالم الكرسي بنجومه ينظر إليه من الإنسان النفس بقواها ولما كان موضع القدمين فكذلك النفس محل الأمر والنهي والمدح والذم.

ثم في العالم البيت المعمور ينظر إليه من الإنسان القلب، ثم في العالم الملائكة ينظر إليها من الإنسان أرواحه والمراتب كالمراتب، ثم في العالم زحل(١) وفلكه ينظر إليهما من الإنسان [القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ]؛ ثم في العالم المشتري(٢) وفلكه ينظر إليهما من الإنسان [القوة العاقلة واليافوخ(٣)، ثم في العالم المريخ وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الغضبية والكبد، ثم في العالم الشمس وفلكها ينظر إليهما من الإنسان القوة المفكرة ووسط الدماغ].

ثم في العالم الزهرة وفلكها ينظر إليهما من الإنسان القوة الوهمية والروح الحيواني، ثم في العالم عطارد وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الخيالية ومقدم الدماغ، ثم في العالم القمر وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الحسية والحواس. فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائره من الإنسان.

---

(١) زُحل: أحد الكواكب السيارة ويُضرب به المثل في العلو والبُعد، والكلمة ممنوعة من الصرف للعلمية والعدل.

(٢) المشتري: أحد الكواكب السيارة في المجموعة الشمسية.

(٣) اليافوخ: حيث التقى عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل (اللسان ٣/ ٥ مادة: أفخ).

وأما عالم الاستحالة فمنه الفلك الأثير وروحه الحرارة واليبوسة ينظر إليهما من الإنسان الصفراء وروحها القوة الهاضمة؛ ثم في العالم فلك الهواء وروحه الحرارة والرطوبة ينظر إليهما من الإنسان الدم وروحه القوة الجاذبة، ثم في العالم فلك الماء وروحه البرودة والرطوبة ينظر إليهما من الإنسان البلغم[1] وروحه القوة الدافعة، ثم في العالم فلك التراب وروحه البرودة واليبوسة ينظر إليهما من الإنسان السوداء وروحها القوة الماسكة.

وأما الأرض فسبع طباق: أرض سوداء، وأرض غبراء، وأرض حمراء، وأرض صفراء، وأرض بيضاء، وأرض زرقاء، وأرض خضراء، ينظر إليها من الإنسان طبقات الجسم: الشعر والجلد والشحم واللحم والعروق والعصب والعضلات والعظام.

وأما عالم عمارة الأمكنة فمنه الروحانيون ينظر إليها من الإنسان القوى التي فيه، ثم في العالم الحيوان ينظر إليه ما يحس من الإنسان، ثم في العالم النبات ينظر إليه ما ينمو من الإنسان، ثم في العالم الجماد ينظر إليه ما لا يحس من الإنسان.

وأما عالم النسب فمنه العرض ينظر إليه من الإنسان أسود وأبيض وما أشبه ذلك، ثم في العالم الكيف ينظر إليه من الإنسان صحيح سقيم، ثم في العالم الكم ينظر إليه من الإنسان [سنه عشرة أعوام وطوله خمسة أذرع[2]، ثم في العالم الأين ينظر إليه من الإنسان] الأصابع موضعها الكف، الذراع موضع اليد، ثم في العالم الزمان ينظر إليه من الإنسان تحرك وجهه وقت تحريك رأسه.

ثم في العالم الإضافة ينظر إليه من الإنسان هذا أعلاه هذا أسفله؛ ثم في العالم الوضع ينظر إليه من الإنسان لغته ودينه، ثم في العالم أن يفعل ينظر إليه من الإنسان، أكله، ثم في العالم أن ينفعل ينظر إليه من الإنسان ذبح فمات وشرب فروي وأكل فشبع، ثم في العالم اختلاف الصور في الأمهات كالفيل والحمار والأسد والصرصر ينظر إليه من الإنسان القوة التي تقبل الصور المعنوية من مذموم ومحمود: هذا فطن فهو فيل، وهذا بليد فهو حمار، وهذا شجاع فهو أسد، وهذا جبان فهو صرصر.

فهذه مضاهاة الإنسان بالعالم الكبير مستوفًى مختصراً، فما بقي له فيه شيء فما له لا

---

(١) البلغم: خلط من أخلاط الجسم وهو أحد الطبائع الأربع (قديماً).

(٢) أذرع: (ج) ذراع: مقياس للطول قدرُهُ (٦٤) سنتيمتراً.

يسعى في تخليص نفسه من رق الشهوات كما حصل له أشرف المراتب [في الوجود فيحصل له أسنى المراتب] السعادية.

وأما الأسرار المودعة في الإنسان فكثيرة جدًّا، منها ما يرجع إلى مزاجه ووضعه الطبيعي، ومنها ما يرجع إلى حاله ووضعه الإلٰهي. ونحن نحتاج في هذا الكتاب إلى ذكر بعض من أسراره الإلٰهية الروحانية، وإن خالطها من المزاج أمر يسير فليس غرضنا، [ويظهر سلطان هذه الأسرار بالتنزلات الإلٰهية بواسطة] روح القدسي على الروح، بأسرار الولاية على الولي، وأسرار النبوة على النبي، كل قد علم صلاته وتسبيحه؛ وقد ذكر النبي ﷺ ضروب التنزلات [بالغتّ والغطّ][1]، وجعل أشده عليه [فيه صلصلة الجرس][2] لاختراق النور الملكي ظلمة هذا التركيب الطبيعي حتى يصل بذاته إلى النور الروحي الذي في الإنسان فيلقى إليه.

فباشتغال الروح معه تنحدر الجوارح وينحرف الطبع ويتغير المزاج، فإن الجسم اشتغل عنه حفظه بما يُلقى إليه، فإذا انصرف عنه النور الملكي سري عنه وقد عرق جبينه واحمر وجهه، وقام كأنه نشط من عقال؛ وهو قوله تعالى: ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك**﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وكان أهون ما يلقى عليه إذا تمثل له رجلاً فيأخذ من جهة سمعه وهي المحادثة؛ [ولأولياء الله] في هذا مشرب شهي.

ومتى اشتد الحال على الإنسان وغاب عن الوجود الحسي، فإن حصل له في تلك الغيبة علم يعقله هناك ويعقله إذا رجع، ويعبر عنه على قدر ما أعطاه الله من العبارة، فذلك هو الحال الإلٰهي، ويجد القلب عند الإفاقة سروراً، وربما عرته أبردة فذلك حال صحيح.

وإن غيب ثم رد ولم يجد شيئاً إلا أنه أخذ عنه بقبضة قبض عليه لم تثمر له فائدة ولكن غاب عن حسه، فهذا حال من المزاج لما حمي القلب بالذكر أو بالتخيل صعد منه بخار من التجويف الكثير الروح إلى الدماغ فحجب العقل ومنع الروح الحيواني من السريان، ورمى بصاحبه كالمصروع، فهذا حال صحيح، ولكن من المزاج ليس فيه فائدة؛

---

(١) الغتّ والغط سواء، وهو ما بين النَّفَسين من الشرب، والإناء على فيه (اللسان ٢/ ٦٣ مادة: غتت).

(٢) صلصلة الجرس: صوته.

ولهذا إذا سألته يقول رأيت كأني كسيت برنساً[1] أسوداً وسحابة مرت على عيني فغبت، وهو ذلك البخار الذي ذكرناه.

وأما الحال الثالث الكذاب هو الذي يعقل صاحبه أهل مجلسه ولم يغب عن نفسه ولا عن حسه، ويتحرك ولا سيما في مجالس السماع فهذا صاحب وسوسة وحديث نفس سخر به الشيطان، فكل ما يلقى إليه يتخيل أنها علوم وهي سموم، فلا يعول على كل ما يخاطب به في هذه الحالة؛ [فإنها حالة] شيطانية، وإنه ليس في قوة الشيطان أن [يفنيك عن] حسك ثم يلقي إليك وتعقل عنه، وإنما هو على أحد وجهين على البدل:

- إما أن يفنيك مثل الصرع ولكن لا يلقي إليك [شيئاً لأنه لا يجد من يأخذ عنه.

- وإما أن لا يفنيك ويلقي إليك] وأنت مع حسك وقد كسا باطنك شيئاً من حرارة وتوهم واستطلاع إلى بعد، وضرب من استعداد لخطاب فإذا عرف أنه قد تمكن منك في هذا المقام ألقى إليك خطاباً، فتحس بمواقع الخطاب في نفسك على حسب ما يلقي إليك، فتخبر عما وجدته، فإخبارك أنك وجدت هذا في نفسك صحيح، وكونك تنسب ذلك إلى الحق باطل.

وربما يقول لك في مواقع خطابه عبدي: إني أنا ربك لا تنظر إلى غيري فأحجبك، ولا تنظر إلي إلا بي. فإن نظرت إلي بك أشركت فأنا الناظر والمنظور وما أشبه ذلك النوع من الخطاب، ويقنع إبليس منك أن تعتقد أن ذلك من الله فيستولي عليك هذا فتصير محلاً له طول عمرك.

فلو علمت أن مخاطبة الحق لا تترك إحساساً وليست بالوهم ولا بالتخيل ولا بالاستعداد والانتظار، لعلمت ببقاء حسك معك أنك مع من يجانسك محدث، ومحدث مثلك يريد أن يسخر بك، وأكثر ما يجد هذا أصحاب السماع والوجد ومن غلب عليه الوهم والتخيل، فعليك بالفناء المحض، وإن لم تجد شيئاً فهو أسلم من الفتنة، فإن وجدت فيه شيئاً فهو المطلوب وارتفع التلبيس، فلا مدخل هنالك لإبليس.

فهكذا ينبغي أن تكون أيها المريد، وأن تعرف هذه الأسرار من نفسك، ولا تكن من الجهالة بحيث أن يعرف منك غيرك ما لا تعرفه من نفسك، ثم لتعلم أن الروحانيين

---

(١) البرنس: كل ثوب يكون غطاء الرأس جزءاً منه متصلاً به، أو هو قلنسوة طويلة كان الناس أو النساك يلبسونها في صدر الإسلام.

ليس لهم إلقاء الأمر والنهي وإنما لهم التحضيض والإخبار، لأنه لا فائدة لأمرهم.

فإذا استولت عليك روحانية تدبرك فانظر: فإن أمرتك ونهتك بضرب من العبادات فتلك شيطانية فاهرب عنها، وأكثر من الذكر وقراءة آية الكرسي وسورة البقرة، وإن لم تأمرك ولكن تخبرك فأنت فيها على الاحتمال بين أن يكون شيطاناً أو غير ذلك، وتميز بينهما سرعة التنوع في الإلقاء [بين أن] يلقي شيئاً، ثم تلقي شيئاً آخر، ثم شيئاً آخر فهو [روح شيطاني].

وإن استمر أمره واحد فإنك معه في حال الفتنة أيضاً فلا تقبل من الإلقاء إن أردت الصحيح إلا ما حصل لك في حال الفناء الكلي من غير تمثيل ولا حس سوى مجرد الفهم منك بما تكون منه، وسر المشاهدة، للبهت، وسر الكشف للعلم، وسر البقاء للأدب، وسر الفناء للتوحيد، وسر القبض للافتقار، وسر البسط للسؤال، والأسرار كثيرة؛ وفيما ذكرناه دواء نافع لمن استعمله.

فلنذكر خواص الأحجار الإنسانية، فمن ذلك حجر البهت، وهو حجر عزيز فيه غبرة، [وهو يتلون عند الشروق وعند الاستواء وعند الغروب، وشعشعته أفواجاً أفواجاً] ومحله بحر الظلمات وله أسرار عجيبة، [من لبسه فإنه يقهر كل من يخاصمه وينتصر عليه، وإذا دخل به على جبار أهابه وعظمه وانبهت وانبهر منه بشرط أن يحرك الحجر في وجهه عند الدخول والمخاصمة]؛ وهو نكتة ذاتية في القلب كمثل الإنسان في العين الذي هو محل الرؤية، وكالساعة التي في الجمعة كما قال ﷺ، وقد مثلت له الجمعة مرآة وفيها نكتة سوداء، وأخبر أنها الساعة التي في الجمعة.

فإذا كان الران على القلب لم يظهر لهذا الحجر وجود، وجميع الأرواح التي في الإنسان من عقل وغيره إنما هو مترقب لمشاهدة تلك النقطة، فإن انصقل القلب بالمراقبة والذكر والتلاوة بدت تلك النقطة، فإذا بدت مما لها ما تقابل سوى حضرة الحق الذاتية، فينتشر من ذلك الحجر نور من أجل التجلي فيسري في زوايا الجسم فيبهت العقل وغيره، ويبهرهم ذلك النور المنبهت من ذلك الحجر وشعشعاته فلا يظهر لهم تصريف ولا حركة ولا ظاهرة ولا باطنة، ولهذا سمي حجر البهت.

فإذا أراد الله أن يبقي هذا لعبد أرسل على القلب سحابة [لون ما يكون] ما تحول بين النور المنبهت من تلك النكتة وبين القلب، فيتشمر النور إليها منعكساً وتشرح الأرواح والجوارح، وذلك هو التثبيت فيبقى العبد مشاهداً من وراء تلك السحابة لبقاء الرسم،

وبقي التجلي دائماً لا يزول أبداً في ذلك الحجر، ولهذا يقول كثير إن الحق ما تجلى لشيء قط ثم احتجب عنه بعد ذلك، ولكن تختلف الصفات، ولنا في هذا المعنى أبيات منها:

لمـا لـزمـت قـرع بـاب الله كنت المراقب لم أكن باللاهي
حتـى بـدت للعيـن سبحـة وجهـه وإلـى هلـمّ فلـم تكـن إلا هـي

[وهذان البيتان زايدان في الفتوحات على ما هنا، فأحطت علماً بالوجود، فما لنا علم بغير الله.

لو يسلك الخلق القريب محجتي لم يسألوك عن الخلائق ما هي]

وكذلك من كتب الله في قلبه الإيمان فإنه لا يمحوه أبداً، ولهذا قال: ﴿**أولئك [كتب في قلوبهم الإيمان**﴾] [المجادلة: ٢٢]، [﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾] [الأنعام: ٩٠] فهذا هو الحجر النافع المطلوب الذي يطلعك على مشاهدة المحبوب فاعلم ذلك.

وآية هذا السر من القرآن: ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**﴾ [سبأ: ٢٣]؛ وخاصيته أنه إذا قام بالعبد في وقت ما فإنه يقهر كل ما تعرض له من غير التفات ولا معرفة به.

ومن ذلك حجر الزمرد آيته من كتاب الله تعالى: ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾ [الأعراف: ٢٠١]. فالقوة [المذكورة آيتها] أن تعمى إبليس عن ملاحظة كيده في الحال وتدهشه فلا يلحق يرجع إليه بصره إلا والمؤمن على إحدى حالتين: إما في غفلة فيمسه مرة أخرى، وإما في حضور فيحترق إن دنا منه، وقد رأيته لعنه الله لا يجترىء على دخول بيت فيه عارف بالله، سواء نام العارف أو كان مستيقظاً.

ومن ذلك حجر الياقوت[1] الأحمر وآيته من كتاب الله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء [وهو السميع البصير]**﴾ [الشورى: ١١]. خاصيته إذا كان الإنسان مشاهداً له من جهة روح قدسي فإنه يعلم من العلوم المتعلقة بذات الحق ما لا يطلع عليه غيره. فإن كان مشاهداً له من جهة نفسه الغضبية وصادف جباراً من الجبابرة فإنه [يذل له] ويخضع لما يجد له في نفسه من التعظيم، وإن كان توعده عفا عنه.

---

(١) الياقوت: حجر من الأحجار الكريمة، صُلب ثقيل شفاف مشرب الحمرة أو الزّرقة أو الصّفرة الواحدة أو القطعة منه ياقوتة (ج) يواقيت.

ومن ذلك حجر الياقوت الأزرق، آيته من كتاب الله تعالى ﴿[والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ [الرعد: ٤١]، هو [الذي يعطي] الزينة الربانية للإنسان مخصوص بأصحاب الأحوال والخلق.

[ومن ذلك] حجر الياقوت الأصفر آيته من كتاب الله تعالى [﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] مخصوص بأصحاب المقامات، وخاصيته العبودية والذلة، والافتقار مقام مشترك من حصل له جهل حاله.

[ومن ذلك] الحجر المكرم آيته من كتاب الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ [الأنبياء: ٣٠]، يدور به فلك الحياة يوجد في كل موجود وفي كل شيء خاصيته قلب الأعيان إذا دبر وأحكم وألقي منه أدنى شيء على ما شئت، قلب عينه لما تعطيه حقيقة ذلك الشيء كالإكسير عند أهل الكيمياء، تأخذه فتحمله على القزدير والحديد فيقلبهما [فضة، وعلى النحاس والرصاص فيقلبهما] ذهباً وهو واحد واختلاف القبول لاختلاف الطبائع.

كذلك هذه الحقيقة تلقيها على العاصي فيصير طائعاً وعلى الكافر فيصير مؤمناً، وهذا هو الكبريت الأحمر العزيز الوجود الذي جعله الله من ضنائنه وأودعه في أرفع خزائنه، من وصل إليه لا يرى أثره عليه، فإن الحاصل به ضنين[1] ولنا أبيات في معناه منها، شعر:

مدعي الصنعة من غير سبب	...ـت في زور ودعوى وكذب
فاستمع قول محب ناصح	صادق اللهجة محفوظ الطلب
نزِّل [النير من أفلاكه]	واسْعَ في تحصيل تركيب النسب
وخذ الآبق من معدنه	وأمط عنه الغبار المكتسب[2]
فإذا مارضته واحتملت	ذاته التركيب فيها ورسب
صعِّد الفاضل وانظر حاله	بامتزاج [النيرات في لهب]
فإذا أفناه يبقى سبب	يقلب الآنك في العين ذهب

[إزالة الظل وقطع التصرير]: قال الله تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾

---

(١) الضنين: الشديد البخل أو المتمسك بالشيء الحريص عليه (ج) أضناء، وهُن ضنائن.
(٢) الآبق: العبد الآبق: الهارب من مالكه. أماطه: نحّاه وأبعده.

[الفرقان: ٤٦] وإنما يبقى الظل لعلة في الصنعة، فما دام الظل كان في الأمر تدليس وحرم التصرف فيه وإزالته.

إن لم يكن عندك سر الحجر المكرم ولا نتيجة الحقائق الأربع فلا بد من طلب إمام، فإن لم تجد فأَخْلِ بيتاً من جميع الأشياء واتخذه خلوة، فليكن ذكرك الله لا غير، ولتتفرغ من همج المطعم والمشرب باستعدادك قبل ذلك، واجعل مستندك هذه الآية: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [الشورى: ١١]، فإنه لا بد من زوال الظل أقربه في سبعة أيام وأبعده في أربعين يوماً.

وأما التصرير فسببه انضغاط النفس بين عالم الملكوت والشهادة، وهو باب الأحوال فاحمل عليها قوله: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ [الرعد: ٢٨]، فإنه ينقطع، تصريره إن شاء الله تعالى.

الباب الأول من الباب السابع عشر وهو الثامن عشر من أبواب الكتاب في معرفة إفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب

نقدم مثالاً للتقريب فيما نذكره، وذلك أن الشمس إذا قابلت الجسم الصقيل فإنه ينبعث من ذلك الجسم نور يضيء به موضعاً لا تقابله الشمس بانعكاس الشعاع، كضوء القمر الذي هو انعكاس ضوء الشمس، فمن أراد أن يرى الشمس فليجعل عينه في الموضع الذي يضرب فيه النور المنعكس وينظر في الجسم الصقيل، [فإنه يكشف الشمس ويجيء من هذا الترتيب شكل مثلث: الركن الواحد الشمس والركن الثاني الجسم الصقيل] والركن الثالث موضع ضرب الشعاع المنعكس.

واعلم بعد أن ضربت لك المثال أن النفس الحيوانية يفيض عنها نور من جانب التجويف الذي فيه الروح الكثير من القلب فيصل إلى أقصى أماكن الجسد ثم ينعكس ذلك النور مثل حركة الفلك فيرقى حتى يتصل إلى الدماغ، فيتصل بالعقل اتصال سريان يكون له تأثير استفاضة على عين البصيرة. فإذا ظهر ذلك النور لعين البصيرة [كالشمس للبصر وهو المخاطب بقوله: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾ [قٓ: ٣٧]، فلا معنى للحس هٰهنا؛ فينعكس الشعاع من عين البصيرة] على ساحة القلب كانعكاس الشعاع من العين على المبصرات فينظر إلى عجائب الملكوت وتتصل الأنوار وتنفتح عند ذلك العين الثانية في القلب وهي عين اليقين وهي ناظرة إلى نور اليقين.

فإن لله تعالى نورين: نوراً يهدي به ونوراً يهدي إليه، وله في القلب [عينان: عين بصيرة وهو علم اليقين، والعين الأخرى عين اليقين (فعين البصيرة تنظر بالنور الذي يهدي به)، وعين اليقين تنظر بالنور الذي يهدي إليه]، قال الله تعالى: ﴿**يهدي الله لنوره من يشاء**﴾ [النور: ٣٥] وهو نور اليقين، وقال في النور الآخر: ﴿**ويجعل لكم نوراً تمشون به**﴾ [الحديد: ٢٨]. فإذا اتصل النور الذي يهدي به بالنور [الذي يهدي إليه] عاين الإنسان ملكوت السمٰوات والأرض ولاحظ سر القدر كيف يتحكم في الخلائق، وهو قوله تعالى: ﴿**نور على نور**﴾ [النور: ٣٥].

الباب الثاني من الباب السابع عشر وهو الباب التاسع عشر من أبواب الكتاب في الحجب المانعة من إدراك عين القلب للملكوت

قد قدمنا أن الأنوار ثلاثة: نور الحياة ونور العقل ونور اليقين. فأما نور الحياة الذي هو انعكاس شعاع النفس الحيوانية فعلله ثلاث: الران والحجاب والقفل، فكلها مذكورة في القرآن الكريم وموادها من الصفات البشرية الظاهرة في عالم الشهادة. فهذه الأمراض التي حصلت للقلب في هذا المقام إنما ذلك من جهة النفس الأمارة بالسوء البهيمية.

وأما النور الذي يحصل للقلب بانعكاس [illegible] من جوهر العقل فعلته النفس الغضبية لها نار تطبخ القلب وتحرقه فيصعد منه دخان على القلب يحول بين القلب والعقل فتنقطع المادة فيظلم القلب، وذلك الدخان هو الغطاء والكن والغشاوة فإن تكاثف أدى إلى العمى: ﴿**ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ [الحج: ٤٦]، وفي ذكر الصدور هنا إشارة تركناها لك.

وأما نور اليقين الذي هو الأمر الأقصى. فالعلة التي تحول بينه وبين عين اليقين من القلب عدم الإخلاص والقبض بالنظر إلى الأعمال المحمودة والمذمومة، فلو أعرض لزال الحجاب ووقع الانشراح واتصلت الأنوار وظهرت الآيات والعجائب؛ وتحقيق هذا الفصل فيمن نظر من قوله تعالى: ﴿**الله نور السمٰوات والأرض**﴾ [النور: ٣٥] إلى قوله: ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾ [النور: ٤٠]؛ هنالك تبدو لك الحجب في مقابلة الأنوار، ﴿**آية بينة لقوم يعقلون**﴾ [العنكبوت: ٣٥].

الباب الثالث من السابع عشر وهو الباب الموفي عشرين من أبواب الكتاب في اللوح المحفوظ الذي هو الإمام المبين ولوح المحو والإثبات

وهذا المقام هو الذي يجمع الولي[1] والنبي وهو الذي يفرق بينهما، فجعل الله القلم ترجمانه الدواة ومفصل علومه بالرسوم، فهو العالم المحفوظ وهو المثبت والماحي وأم الكتاب، وهو الكتاب المسطرة علومه في قوته مجملة لا يعقل عنه حتى يفصح.

وأما لوح المحو والإثبات فهو لوح الدفتين الزمردتين المودع كائنات العالم إلى يوم [الدين، وأما لوح] التبديل فهو لوح محصور وعليه اعتكفت ملائكة التسخير ونظيره منك في العالم الإيمان. وفي اللوح تنوع الأحوال بتنوع الأزمان بتنوع الأماكن بتنوع الأوضاع بتنوع الأعراض. فينسخ [الآخر الأول أبداً] وهو المحو والإثبات[2]، فإذا رجعوا إلى تماثلهم حشروا في القلم الأعلى فارتقوا السمٰوات العلى فيخرج النبي والوارث العالم بالقلم الأعلى ويختلف الإلقاء لأن قلم النبي له طرفان وقلم الولي له طرف واحد ويخرج الولي العارف والمؤمن باللوح فتمتاز المراتب [والله عليم حكيم] والله أعلم.

الباب الرابع من السابع عشر وهو الباب الحادي والعشرون من الكتاب في أسباب الزفرات والوجبات والتحرك عند السماع

السماع[3] سر من أسرار الله تعالى في الوجود العلية واحد في نفسه والسامعون شخصان: شخص يسمع بنفسه وشخص يسمع بعقله، وليس ثم سامع آخر. ومن قال إنه يسمع بربه [فإنه نهاية درج سمع العقل لكن للعقل سمعان: سمع من حيث فطرته وسمع

---

(١) الولي: معناه يُحتمل أمران: الأول: يكون معناه: من توالت طاعاته من غير تخلل معصية، والثاني: هو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة. (الرسالة القشيرية ص ٣٥٩).

(٢) قال القشيري: المحو: رفع أوصاف العادة، والإثبات: إقامة أحكام العبادة، فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة وأتى بدلاً منها بالأفعال والأحوال الحميدة فهو صاحب محو إثبات (الرسالة القشيرية ص ٧٣).

(٣) انظر حديث القشيري عن السماع في الرسالة القشيرية ص ٣٣٥.

من حيث الوضع. فالذي من حيث الوضع هو الذي قيل عنه يسمع بربه] وقوفاً عند قوله عمّ [عن ربه] «كنت سمعه الذي يسمع [به]»، فالذي يسمع] بعقله يسمع في كل شيء ومن كل شيء وعلى كل شيء لا يتقيد؛ وعلامته في ذلك البهت وخمود البشرية.

والذي يسمع بنفسه لا بعقله لا يسمع إلا في النغمات والأصوات العذبة الشهية، وعلامته أن يتحرك عند السماع بحالة فناء عن الإحساس، ومهما أحس المتحرك في السماع فإنه مسخرة للشيطان، وإن لم يحس وفني عن كل شيء فهو صاحب نفس وتحت سلطانها، وحاله صحيح صححه الفناء ولا يأتي بعلم أبداً عقيب هذا الفناء والحركة في السماع.

فإن ادعى أنه أتى بعلم فلم يكن يعلم فانياً ولم يكن سمع بعقله فإنه قد تحرك فلم يبق له إلا أن يكون كاذباً؛ فإن سماع النفس لا يأتي بعلم البتة، وسماع العقل لا تكون معه حركة؛ فمن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل بالحقائق.

واعلم أنه إذا أراد الله تنزل المعارف على قلب عبد بضرب من ضروب الوجد أرسل برد القرب على القلب المعقول فتبرد سماء القلب فيأخذ سفلاً فيجد الحرارة الغريزية صاعدة إلى الدماغ، فيعتمد عليها فتنعكس الحرارة فتأخذ سفلاً حتى تحك بساحة القلب فتتولد من ذلك الحك نار فتصعد.

فإن وجدت في سحاب برد اليقين والقرب خللاً صعدت فكان ذلك التأوه الذي يسمى الزفرة؛ وإن لم تجد خللاً حللت رطوبات السحاب الأعلى من جمده فذلك هو البكاء الذي يطرأ على صاحب الحال في حاله.

فإن كانت تلك النار قد أنضجت الكبد يشم في ذلك التأوه رائحة الحرق وتصعد تلك النار في تجويف القلب بالانضغاط الذي هو فيه، فيسمع له في ذلك الوقت أنيناً يسمى [الوجبة والصيحة] والرجفة؛ وفي ذلك الوقت تقع الصيحة من صاحب الحال.

فمن كان في قلبه خلاء من الحاضرين صعق من حينه لتلك الصيحة وهي صلصلة النار الطبيعية بالقلب، وتتصدع لها القلوب إذا قويت عليها.

ومن كثرت الريون على قلبه من الحاضرين أخذته لتلك الصيحة رعدة وفزع ووقع الإنكار منه على صاحب الحال، وقال هذا ما سمعنا أنه كان في السلف وقد كانت الموارد ترد على قلب النبي ﷺ، وما سمعنا عنه أنه صاح ولا صعق فلا تلتفت إلى قوله، فإن قلبه مطبوع.

وقد فرّقنا بين سماع العقل وسماع النفس وكل في بابه صحيح، وفي خروج تلك الزفرات تكون حياة العارف. فإذا أرادت النار الخروج من خلل السحاب الذي ذكرناه ووجدته متراكماً ليس فيه خلل انعكست وطبخت القلب والكبد في الحين وأحرقتهما، فمات صاحب الحال من فوره، وعند زج تلك النار من القلب إلى الدماغ تكون الحركة والشطح[1] من صاحب الحال، وأكثر خروجها ملتوية متداخلة فتكون حركات صاحب الحال غير موزونة ولا مربوطة بطريقة، وأكثر ما يظهر منهم الدوران لأن شكل الإنسان في الحقيقة مستدير، والنار تجري على شكله. فإن كان ذلك السحاب رقيقاً واسع الخلال فإن الحرارة تنفش فيه فلا تظهر من صاحبه زفرة ولا تسمع لقلبه وجبة، ولكن يغلب عليه الضحك ما دام في ذلك الحال للاتساع الذي يجده.

فلا تغالط نفسك أيها المريد فقد أبَنْتُ لك صورة الأمر؛ فإن شئت أن تكون صاحب عقل، وإن شئت أن تكون صاحب نفس. والله تعالى يصلحنا وإياك وجميع المسلمين، آمين.

الباب الخامس من السابع عشر وهو الباب الثاني والعشرون من الكتاب في الوصية للمريد[2] السالك وهو على فصول وبه ختم الكتاب

اعلم أيها المريد نجاة نفسك أنه أول ما يجب عليك قبل كل شيء طلب أستاذ يبصّرك عيوب نفسك [ويخرجك عن طاعة نفسك]؛ ولو رحلت في طلبه إلى أقصى الأماكن؛ وأنا أوصيك إن شاء الله ما تفعله في مدة طلبك الشيخ حتى تجده.

فإذا وجدته [فانقد إليه واصدق في خدمته] فالحاضر أبصر من الغائب، فكن بين يديه كالميت بين يدي الغاسل، ولا يخطر لك عليه خاطر اعتراض ولو عاينته قد خالف الشريعة؛ فإن الإنسان ليس بمعصوم.

ولا تكتم عنه كل ما يقع لك في نفسك من محمود ومذموم في كل [ما يكون]، ولا تقعد في مكانه ولا تلبس ثوبه، ولا تجلس بين يديه إلا وأنت مستوفز جلوس العبد بين

---

(١) شطح في القول: تباعد واسترسل كذلك الشطح في السير.
(٢) انظر حديث القشيري عن الوصية للمريدين في الرسالة القشيرية ص ٣٧٨ ـ ٣٨٥.

يدي سيده؛ وإذا أمرك بفعل شيء فتثبت فيه حتى تعرف ما أمرك به؛ ولا تبادر وأنت غير عارف بما أمرك به. فلا تأتِ بشيء ولا تفعل، ولا تسأله عن سبب ما أمرك به.

وإذا وصفت له حالاً منه أحوالك في رؤيا أو غيرها فلا تسأله عن شرحها؛ وإذا كلمته في أمر فلا تطلب منه الجواب عليه ولا تحتمل فيه قول قائل. وإذا عرفت له عدواً فاهجره في الله، ولا تجالسه ولا تعاشره.

وإذا رأيت من يحبه ويثني عليه فأحبه واقض حوائجه. وإن طلق شيخك امرأة فلا تتزوجها؛ وإياك أن تدخل بيت خلوة الشيخ، ولا تَبِتْ معه في بيته أو حيث يبيت؛ ولتنم قريباً منه بحيث لا تراه؛ وإذا دعاك سمعته؛ ولا تشاوره في أمر تفعله فإنك تناقض أصلك، فإن الأصل الذي ربطت عليه أمرك ألا تريد إلا ما أراده شيخك.

فإذا خطر لك شيء فاتركه عن نفسك والتفت لما يرسمه لك وعليه اعتمد؛ فإن من الشيوخ مَنْ إذا شاورته في أمر قال لك افعله وإن كان لا يريد ذلك؛ فإن الحال يعطيهم ذلك وهو يضر بك؛ وإن قال لك لا تفعله نفعك وضر نفسه؛ وصلاح نفسه عنده أولى؛ فما تسلم من هذا الضرر إلا بأن تشاوره في أمر خطر لك أن تفعله؛ ولكن اترك ذلك الخاطر ولا تفعله فإن وقتك قد عمّره ما كلفك به شيخك، وإنما تقع الخواطر للمريد السوء البطال الفارغ ظاهراً وباطناً.

ولا تعترض عليه في فعل من أفعاله، ولا تسأله لِمَ فعلت ذلك، وتلمذ واخدم كل من قدّمه عليك شيخك؛ ولا تقعد مقعداً حيث [illegible] إلا وتتيقن أن الشيخ يراك. فالزم الأدب ولا تمشِ أمامه في طريق إلا بليل؛ ولا تدم النظر إليه فإن ذلك يورث قلة الحياء ويخرج الاحترام من القلب.

ولا تكثر مجالسته، وليكن جلوسك في بيت خلوتك أو خلف باب بيت الشيخ، حتى إذا أرادك وجدك. ولا تقضِ لأحد حاجة ولو كان أباك حتى تشاور شيخك؛ ولا تدخل عليه متى ما دخلت عليه إلا قبّلت يده وأطرقت. وتحبب إليه بامتثال أمره ونهيه لك؛ وكن حافظاً شحيحاً على عرضه.

وإذا قدمت له طعاماً فألقه أمامه. بجميع ما يحتاج إليه؛ وقف خلف الباب فإن دعاك فأجبه وإلا فاتركه حتى يفرغ؛ وإذا فرغ فأزل المائدة أو السفرة إذا أمرك؛ فإن بقي من طعامه شيء وأمرك بالأكل فكله ولا تؤثر بنصيبك أحداً. وإياك أن تحدّث نفسك أن الشيخ

يأكل وحده فتستعظم أكله وإن كان طعاماً كثيراً فيفرغ أو تقع فيه من أجل الخبر فيمن أكل وحده.

واجهد أن لا يراك فيما لا يسره منك؛ ولا تتمنَّ عليه؛ واحذر مكر الشيوخ فإنهم يمكرون بالطالب في أوقات؛ فحافظ على أنفاسك في الحضور معهم؛ فإن وقعت منك زلة في حق أدب مع الشيخ وعرفت أنه قد عرف بها وسامحك فيها ولم يعاقبك فاعلم أنه قد مكر بك وقد علم أنه لا يجي منك شيء ولهذا سكت عنك؛ وإذا عاقبك على الخطرة واللحظة وضايق عليك أنفاسك فأبشر بالقبول والفتح والرضى، ولا يدللك عليه بسطه، بل كلما انبسط فلتزد في قلبك المهابة والإجلال وتعظيم الاحترام والاحتشام؛ شعر:

كلما ازداد بسطة وخضوعاً زدت فيه مهابة وجلالاً

وإن سافر شيخك وتركك في موضعك فلازم الموضع الذي كان يقعد فيه بالسلام عليه في كل يوم في الأوقات التي كنت تأتي إليه فيها كأنه ما غاب، وارعَ من حرمته في غيبته رعايتك في حضوره. وإذا رأيته يريد الخروج إلى موضع فلا تقل له في ذلك إلى أين، ولا تدخل عليه رأياً في أفعاله.

وإن شاورك فرد الأمر إليه فإن مشاورته إياك ليست من افتقاره إلى رأيك، وإنما شاورك تحبباً لك وسياسة؛ وإذا رأيته يلازم موضعاً فلا تقل له في ذلك ولا تحدث نفسك أن تلك عادة منه. وإذا انتقل عن موضع كان يلزمه فلا تذكره به ولا تتأول عليه كلامه فيما يأمرك أو يحدثك به وقف عند ظاهر ما تسمع وافعله إذا أمرك.

وإن تيقنت أنه أخطأ فامضِ لما أمرك ولا تعرِّج على تأويل فيه، وإن تأولت أمره وأصبت فهو خطأ (كما أنك إذا لم تتأول وفعلته كما أمرك وكان ذلك الأمر خطأ) فقد أصبت؛ فإن الهداية في الطريق عندنا في حق المريد مع الشيخ والشيخ مع الله ليس هي في إصابة التأويل في الأمر بوجه العلم الصحيح، وإنما الهداية في الامتثال لأمره من غير تأويل البتة وسره عندنا بيّن ظاهر في الحضرة الإلهية.

ومتى ما تأولت على الشيخ ما أمرك به أو تقول له تخيلت أنك أردت كذا فاعلم أنك في إدبار، فابكِ على نفسك فما أوتي على أكثر المريدين إلا من التأويل فإن التأويل حظ النفس والعقل ظاهري لا يقيني. ولا تتأول على أمره بل الأمر كله على الوجوب فهو يبادر إليه إذا خوطب به.

ولا تصلِّ في موضع تستدبر فيه شيخك إن كان حاضراً واجمع بين الأدبين، ولا

تفشِ له حديثاً إلا بأمره، ولا تقف له على أكل ولا نوم ولا حالة من أحوال العادة فإنه أنفع لك إلا إن دعاك إلى ذلك، وصورة دعائه لك في ذلك أن لا تتعرض إليه بمشورة مثل أن تقول له يا سيدنا تأمرني أن آكل معك أو تأمرني أن أنام معك في بيت واحد أو أنصرف، فإني أخاف أن يقول لك افعل، كل معي أو نم معي؛ وهذا غاية الإبعاد عندنا فإنه داعية إلى الإدلال وإسقاط الحرمة والهيبة؛ ومتى ما عدم هذا من المريد فإنه لا يفلح ولا بد منه البتة؛ ومن قال خلاف هذا فلا يعرف نفسه.

فهكذا أيها المريد فلتكن حالتك مع الشيخ إذا وجدته، وأنا الآن أوصيك ما تفعله في المدة التي تطلب فيها الشيخ إن شاء الله؛ فأول ذلك التوبة[١] بإرضاء الخصوم ورد المظالم التي تستطيع على ردها، والبكاء على ما فات من أوقاتك في المخالفات، ومصاحبتك للعلم بأنك من ذنوبك على يقين، ومن قبول توبتك على خطر؛ ولا تقعد إلا على طهارة كاملة. ومتى ما أحدثت توضأت، ومتى ما توضأت صليت ركعتين، والمحافظة على الصلوات الخمس في الجماعات والتنفل في بيتك.

فصل في الصلاة:

فإذا توضأت فاسْعَ في الخروج من الخلا وتوضأ أسبغ[٢] وضوء يتوضأه أحد للصلاة وأتمه؛ وسمِّ الله في بدء كل حركة من حركاتك، واغسل يديك بترك الدنيا منها، ومضمض بالذكر والتلاوة، واستنشق بشم الروائح الإلٰهية، واستنثر[٣] بالخضوع وطرح الكبر، واغسل وجهك بالحياء وذراعيك إلى مرفقيك بالتوكل؛ وامسح رأسك بالذلة والافتقار والاعتراف، وامسح أذنيك باستماع القول واتباع أحسنه، واغسل قدميك لإيطاء كثيب المشاهدة. ثم أثْنِ على الله بما هو أهله، وصلِّ على رسوله الذي أوضح لك سنن الهدى ﷺ.

وقف في مصلاك بين يدي ربك من غير تحديد ولا تشبيه، وواجهه بقلبك كما تواجه الكعبة بوجهك، وتحقق أن ما في الوجود أحداً إلا هو وأنت فتخلص ضرورة؛

---

(١) التوبة: أول منزل من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين، وحقيقة التوبة في اللغة: الرجوع، فالتوبة: الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه (الرسالة القشيرية ص ٩١).

(٢) أسبغ الوضوء: أتمه.

(٣) استنثر: استنشق الماء ثم نثره من أنفه.

وكبّره بالتعظيم ومشاهدة عبوديتك؛ وإذا تلوت فكن على حسب الآية المتلوة؛ فإن كانت ثناءً على الله فكن أنت المحدث وهو الذي يتلو كتابه عليك فيعلمك الثناء عليه فيما يثني به على نفسه؛ وكذلك في آية الأمر والنهي وغير ذلك لتقف عند حدوده وتعرف ما وجّه عليك سيدك من الحقوق فتحضرها في قلبك لأدائها والمحافظة عليها.

والحظ ناصيتك[1] بيده في ركوعك ورفعك وسجودك وجميع حركاتك فتسقط لك الدعوى في هذه الملاحظة حتى تسلم، فإذا سلمت فابق على عهدك وعقدك أنه ما ثم أحد غيرك وربك سبحانه، وسلم باللفظ على من أمرك فإنه سلامك على نفسك **﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾** الآية [النور: ٦١]؛ ومتى دخلت بيتك فحيّه بركعتين وكذلك كل موضع تدخله.

فصل في الأكل والشرب:

ولا تأكل إلا من فاقة ولا تشبع ولا تكثر شرب الماء، ولا تأكل تصنعاً ولا تعززاً ولكن كل على قدر حاجتك إلى الطعام ولا بشره إليه لجوعك، بل خذ اللقمة متوسطة فإذا جعلتها في فيك فاشدد مضغها وسمِّ الله عليها؛ فإذا مضغتها فابتلعها ثم احمد الله الذي سوّغكها وحينئذ تمد يدك إلى لقمة غيرها، فتسمي الله أيضاً مثل الأولى حتى تبتلعها، ثم تحمد الله وحينئذٍ تمد يدك إلى غيرها حتى تأخذ حاجتك.

وكل مما يليك ولو كنت وحدك كيلا تعتاد سوء الأدب؛ واحذر الشهوة ولا تنظر إلى وجه أكيلك ولا إلى يده؛ ولتنظر بقلبك في ذلك إلى تنزيه من يطعم ولا يطعم فيتبين لك نقصك وعجزك فتكون في عبادة في أكلك، ولا تلتفت ولا تصغ لمن يقول لك إنك تأكل قليلاً فيؤديك ذلك إلى أن تتركه رياءً حتى يقال إنك تأكل قليلاً.

وإذا حضرت على مائدة طعام فكن آخر من يرفع يده ولا تقم حتى ترفع المائدة، ولا تأكل في بيتك ثم تأتي إلى الجماعة فتأكل معها بالتعزز كأنك قليل الأكل، فإن ذلك من شيم المنافقين؛ وليكن أكلك من وقت إلى وقت.

فصل في الكسب والتوكل[2]:

ولتحترف إن عدمت اليقين ولا تظهر التوكل وليس عندك منه شيء، وتتخيل أن

---

(١) الناصية: ما يبرز من الشعر في مقدم الرأس يكون حذاء الجبهة.

(٢) انظر حديث القشيري عن التوكل في الرسالة القشيرية ص ١٦٢ ـ ١٧٣.

عجزك من قوة يقينك وحسن توكلك، وإنما هو من نقص همتك ودناءة نفسك أصلك وقلة معرفتك، فاحترف على حد الورع واجهد في ذلك جهدك. فإن طالبتك نفسك بالقعود والتوكل فلا تجاهدها في ذلك واسمح لها دعواها وارحل بها عن الموطن التي تعرف فيها إلى الأمصار الكبار التي لا يعرف فيها الغريب من البلدي، ولا تقعدها في موضع واحد من ذلك البلد بل خالف بها المواضع ولا تعاشر أحداً ولا تتعرف إليه.

فإذا رأيت إنساناً وتوسمت فيه أنه قد جاءك بشيء أو سمعت حركته ولم تره فقالت لك النفس هذا فتح من الله، فدخل عليك ذلك بذلك الفتح فلا تقبله ورده عليه؛ فإنه أتاك باستشراف، ولتعلقها بالرزق حتى كوشفت عليه فإن الله منها في ذلك الوقت؛ فلا تقبله ولو كنت على الهلاك.

فإذا أتاك الشيء من غير استشراف وحصل بين يديك فانظر على الفور ما تجد في أول خاطر عند رؤية ذلك الفتوح؛ فإن وجدت في نفسك انقباضاً منه فرده عليه ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وإن لم تجد انقباضاً ووجدت شرهاً فإن صاحبه شره، فرده ولا تقبله؛ وإن لم يصحبه شره فحينئذٍ فخذ منه قدر ما تحتاج إليه في ذلك الوقت ورد عليه ما بقي ولا تقعد في ذلك الموضع، وارحل عنه إن كان المصر كبيراً جدًّا إلى موضع آخر؛ ولا ترد الموضع التي جرت العادة بإتيان الفتوح إليها كالربط والمساجد وما أشبه ذلك؛ وهذا كله حتى يتقوى يقينك، وإن لم تفعل هذا وإلا فقد خنت نفسك، ولا تسمع من صوفي نطق من مقامه فقال: لا أرى غير ربي؛ ما قالها حتى قاسى ما ذكرته لك حينئذٍ؛ وأما أن تفعل ذلك ابتداءً فشغل البطالين.

فصل في الصحبة[1]:

والصحبة أشر شيء على المريد، فإن الطريق مبني على قطع المألوفات وترك المستحسنات؛ ولما كانت الصحبة تؤدي إلى الألفة والأنس وتغيير المحل بوجود الألم عند وقوع المفارقة، لهذا كرهناها. ولهذا تقول المشيخة من وجد الأنس في الخلوة والوحشة في الملأ فأنسه بالخلوة لا بالله وإنما التبس عليه.

فالأولى بالمريد الاعتزال عن الصحبة جملة، ولتكن همته في طلب الشيخ [فإن وجد الشيخ فلا يلحظ غيره ولا يصاحب إخوته من تلامذة الشيخ]، ولا يجالسهم إلا إن أمره الشيخ بذلك.

---

(١) انظر حديث القشيري عن الصحبة في رسالته ص ٢٩٤ ـ ٢٩٨.

فينبغي للمريد أن يكون مع الخلق مع جنسه وغيره كالوحش يفر يطلب بذلك الأنس بالله، ويكثر الذكر ولا يستهتر فيه ولا يبايت أحداً ولا يجالسه. فإن اضطر إلى الصحبة فليرقب نفسه مع صاحبه؛ فإن وجد عند مغيبه وحشة إليه فليتخل عن صحبته؛ فإن تبعه ذلك وطال به فليفر من البلد.

وكذلك في ثوبه ومسكنه إذا أحس من نفسه أنه أحب ثوبه باعه واشترى غيره، وإن استغنى عنه أعطاه لغيره، وإن أحب مكانه تحول عنه؛ ولا يبقى مع شيء يأخذ من قلبه نصيباً حتى يبقى فردانياً في الوجود؛ فإن الحق سبحانه لا يتجلى لقلب له أنس بغيره لا من الطائعين ولا من غيرهم.

ولولا أن الشيخ له طبيب ووجود العلة التي فيها هلاك المريد عنده لم يجز له أن يجلس معه ولكن يجلس معه لا على وجه الأنس به، ولكن على وجه تعليم الأدب؛ فإن الطالب إذا تعلق أنسه بالشيخ طال عليه الطريق وصعب على الشيخ طبه وتعذر عليه واستبطأ البرء من علته وذلك لأنسه به.

وغرض الشيخ من التلميذ أن يجده في كل وقت معمور القلب بالذكر حتى إذا ألقي عليه ما يؤديه إلى مجالسة أحد في فعله زماناً واحداً يراه يتألم فيعرف الشيخ أن المريد قد فتح عليه واعتنى به.

ولتكن معاشرته بالإيثار والفتوة[1] وسخاوة النفس وترك طلب الحقوق منهم، ويرى الفضل لهم ولا يرى لنفسه حقاً عندهم فكيف فضلاً عليهم. ولهذه العلة أمرنا المريد بترك الصحبة فإن للصحبة حقوقاً يجب عليه أداؤها تشغله عن أداء حقوق الله تعالى في قلبه وهو ضعيف؛ فالعزلة والفرار أولى.

فإن الصحبة من شيم المتمكنين الأكابر، وكن معهم على نفسك إن ذموك فأنت للذم أهل؛ وإن حمدوك فأوصافهم تكلمت عنهم وستر الله عليهم أمرك، ولو كشفه لهم رأوه عورة فلا تفرح بحمدهم وثنائهم عليك.

فصل السعي إلى المساجد:

وينبغي للمريد أن لا يكثر الحركة فإنها مفرقة، ولهذا منعناه من السفر لئلا يتشوش حاله إلا في طلب الشيخ المرشد؛ فإذا خرج إلى المساجد أو إلى ضرورة فلا يلتفت يميناً

(١) انظر حديث القشيري عن الفتوة في رسالته ص ٢٢٦ ـ ٢٣١.

ولا شمالاً؛ وليجعل نظره حيث يجعل قدميه مخافة النظرة الأولى؛ ويكون مشتغلاً بالذكر في مشيه ويرد السلام على من سلَّم عليه ولا يقف مع أحد ولا يقل لأحد كيف حالك، وليحذر من هذا فإنه صعب عندنا.

ويزيل من طريقه كل ما يجده من أذى من حجر أو شوك أو عذرة[1]، ولا يجد رقعة في الأرض إلا يرفعها في كوة ولا يتركها تداس بالأرجل؛ ويرشد الضال ويعين الضعيف ويحمل عن المثقل؛ هذا كله واجب عليه.

وإذا سلّم فليسلّم على كل عبد صالح لله في الأرض والسماء من ذلك كالمقام يرد عليك.

وإياك والسعي في مشيك ولكن بالتأني من غير عجب فإنه أوفر لهمتك؛ وإذا كنت حاملاً شيئاً فأردت الراحة فتعدل عن طريق الناس؛ ولا تضيق عليهم طريقهم.

وإياك وحضور مجالس السماع فإن أشار عليك شيخك بحضورها فاحضر ولا تسمع؛ واشتغل بالذكر فإن سماعك من ذكرك أولى من سماعك من الشعر ولا سيما والقوّال قلما ينشد إلا في باب المحبة والشوق، والنفس تهتز عند ذلك وتورث الدعوى عندك؛ فإن أنشد القوّال في الموت وما يردك إلى الخوف والقبض والحزن والبكاء في ذكر جهنم أو ذهاب العمر أو الموت وكرباته، أو الحساب والقصاص، أو مواقف القيامة، فأصغ إليه وفكر فيما جاء به، فإن غلب عليك حال يفنيك عن إحساسك فقمت فليس قيامك لك، وإنما أقامك واردك.

فمتى ما رجعت إلى إحساسك فاقعد من حينك وارجع إلى هيئة اعتدالك فإن الحركة في السماع انحراف عن مجرى الاعتدال، وتتنوع بحسب القصد، فإن تحركت وأنت تحس بحركتك فحركتك إلى أسفل، كمن ينزل من علو إلى سفل، حتى تستقر في سجين؛ نسأل الله العافية.

وإن تحركت وأنت فانٍ عن نفسك وإحساسك فإن فنيت في الله تعالى باستيلاء عصمته في قلبك أو في الجنان أو في النار، فحركتك علوية حتى تستقر في عليين.

وإن فنيت في معشوق لك من امرأة أو حدث فحركتك في جهنم في سجين مع

---

(١) العذرة: الغائط.

كونك فانياً وحالك حال صحيح، ولكن في الفساد؛ ويتوهم الناس أنك في حق الله فنيت؛ فإياك وحضور مجالس السماع.

وإن اضطررت إلى الصحبة ولا بد، فصاحب العباد والمجتهدين من أهل المعاملة حتى تجد الشيخ، فإن لم تجدهم في المدن فاطلبهم بالسواحل والمساجد الخربة فإنهم يطرقونها، وقنن[1] الجبال وبطون الأودية؛ وإذا عزمت أن تكون منهم فإياك أن يدخل عليك وقت الصلاة إلا وأنت في المسجد؛ والمفرّط من المريدين من يصل والصلاة تقام.

فإن جئت المسجد والصلاة تقام فقد فرّطت غاية التفريط ولست منهم؛ وأما أن تفوتك تكبيرة الإحرام أو ركعة مع الإمام فلا تتكلم على هذا فإن هذا من حكم العامة المطعون في إيمانهم؛ فتب إلى الله واستأنف؛ وإياك وملازمة مسجد واحد ولا صف واحد، ولا موضع واحد في المسجد.

فصل في الخواطر[2]:

واعلم أنك إن عاشرت الفقراء وخدمتهم فلا ترد خاطراً يخطر لك في مصالحهم من خدمتهم، فإن خواطرهم رسل إليك فافعل كل ما يخطر لك من غسل ثياب أو طبخ طعام أو شيء من هذه المنافع؛ فإن الفقراء الصادقين تخطر لهم الخواطر ومجاهدتهم تمنعهم من التحدث بها حتى لا يسعى لنفسه في شهوته؛ والله سبحانه يريد أن يجمع لهم بين الأمرين معاً بصدقهم فيلق في نفسك فعل ما خطر لهم؛ فقم عند ذلك وافعله وأْتِ به إليهم فتحصل لهم درجة المجاهدة وينل المطلوب، وتتعلم أنت تصديق الخواطر سوى ما لك من الأجر في ذلك.

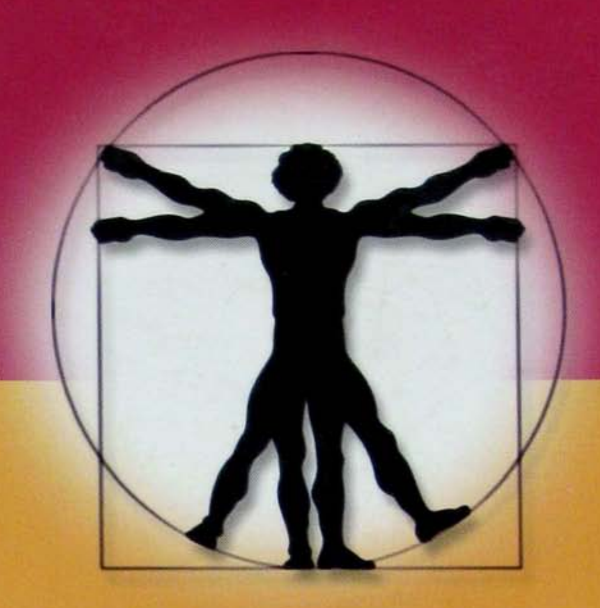
ولا تحتقر شيئاً من الخير فإن هذا الطريق طريق الارتياح ولا يدلك على الله من هو هالك؛ وأربعة من أحكمها فقد فاز بجميع الخيرات كلها: خدمة الفقراء، وسلامة الصدر، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وأن تكون معهم على نفسك. وقلّما يسلم مريد في ابتداء حاله من الخواطر الرديئة في كل جانب من جانب الحق ومن جانب الخلق.

---

(١) قنن: (ج) قُنة: قنة كل شيء: أعلاه.
(٢) الخواطر: خطابات ترد على الضمائر، فقد يكون الخطاب بإلقاء ملك أو إلقاء شيطان أو أحاديث نفس أو من الحق سبحانه (الرسالة القشيرية ص ٨٣).

فآكد ما على المريد السعي في أن يسلم الناس من سوء ظنه بهم؛ وإن كنت صادقاً صحيح الخاطر والكشف بالعادة والتجربة، لذلك فيخطر لك خاطر سوء في واحد، وهو كما خطر لك فاعلم أنه من إلقاء الشيطان؛ وتُبْ إلى الله تعالى منه، واستغفر الله وسَلْهُ أن لا يعمّر باطنك بالاشتغال بخلقه، وكيف وقد شغلك بمساوئه؛ وإنما الشيطان يحب أن يستدرجك ويصدقك ليكذبك، ويكرمك ليهينك، فتحفظ. وإنما وينقطع هذا بالذكر وينقطع ما كان في جانب الحق عنك بالعلم. تم الكتاب.

الفهرس



التدبيرات الإلهية
في
إصلاح المملكة الإنسانية


منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
هاتف: ١٢/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ (٥ ٩٦١+)
فاكس: ٨٠٤٨١٣ (٥ ٩٦١+)
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧
http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com


ISBN 2-7451-2907-4
90000 >
9 782745 129079
2004
طبع في مطابع دار الكتب العلمية